1669

51A

الجزء الاول من

كتاب الانيس المفيد

للطالب المستفيد

وجامع الشذور

من منظوم

ومنثور

كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور

من كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية

ذكر خلافة هرون الرشيد

بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ سَبْعِين ومائة كان الرشيد من أَفَاضِلِ الْخُلَفَاء وَفُصَحَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وكُرَمَائِهِمْ كان يَحُجّ سَنَةً وَيَغْزُو سَنَة كَذَلِكَ مُدّةَ خِلَافَتِهِ الا سنين قليلة قالوا وكان يُصَلِّي فِي كُلِّ يَوْم مِئَةَ رَكْعَةٍ وَحَجَّ ماشيا ولمْ يَحُجّ خليفة ماشيا غَيْرَهُ وَكَانَ إِذَا حَجَّ حَجّ معَهُ مِئَةٌ من الفقهاء وأبناؤهم وَإِذَا لَمْ يَحُجّ أَحَجّ ثَلثمِئَةِ رَجُلٍ بِالنفقة السابغة وَالْكِسْوَة الظاهرة

وكان

وَكَانَ يَتَشَبَّهُ فِي أَفْعَالِهِ بِالْمَنْصُورِ إِلَّا فِي بَذْلِ الْمَالِ فَإِنَّهُ لَمْ يُرَ خَلِيفَةٌ أَسْخَى مِنْهُ بِالْمَالِ وَكَانَ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا يُؤَخِّرُ وَكَانَ يُحِبُّ الشِّعْرَ وَالشُّعَرَاءَ وَيَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْفِقْهِ وَيَكْرَهُ الْمِرَاءَ فِي الدِّينِ وَكَانَ يُحِبُّ الْمَدِيحَ لَا سِيَّمَا مِنْ شَاعِرٍ فَصِيحٍ وَيُجْزِلُ الْعَطَاءَ عَلَيْهِ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ صَنَعَ الرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخْرَفَ مَجَالِسَهُ وَأَحْضَرَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ وَقَالَ لَهُ صِفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ هَذِهِ الدُّنْيَا فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا   فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

فَقَالَ الرَّشِيدُ أَحْسَنْتَ ثُمَّ مَاذَا فَقَالَ

يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ   لَدَى الرَّوَاحِ أَوِ الْبُكُورِ

فَقَالَ حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا فَقَالَ

فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ   فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا   مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فَبَكَى الرَّشِيدُ فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَسُرَّهُ فَحَزَنْتَهُ فَقَالَ الرَّشِيدُ دَعْهُ فَإِنَّهُ رَآنَا فِي عَمًى فَكَرِهَ أَنْ يَزِيدَنَا مِنْهُ

وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ يَتَوَاضَعُ لِلْعُلَمَآءِ قَالَ أَبُو مُعَوِيَةَ ٱلضَّرِيرُ وَكَانَ مِنْ عُلَمَآءِ ٱلنَّاسِ أَكَلْتُ مَعَ ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا فَصَبَّ عَلَى يَدِي ٱلْمَآءَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي يَا أَبَا مُعَوِيَةَ أَتَدْرِي مَنْ صَبَّ ٱلْمَآءَ عَلَى يَدِكَ فَقُلْتُ لَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَالَ أَنَا فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هٰذَا إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ قَالَ نَعَمْ

فِي أَيَّامِهِ خَرَجَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ حَسَنِ ٱبْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَمُ

كَانَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ ٱللهِ قَدْ خَافَ مِمَّا جَرَى عَلَى أَخَوَيْهِ ٱلنَّفْسِ ٱلزَّكِيَّةِ وَإِبْرَهِيمَ قَتِيلِ بَاخَمْرَى فَمَضَى إِلَى ٱلدَّيْلَمِ فَٱعْتَقَدُوا فِيهِ ٱسْتِحْقَاقَ ٱلْإِمَامَةِ وَتَابَعُوهُ وَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلْأَمْصَارِ وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ فَٱغْتَمَّ ٱلرَّشِيدُ لِذَلِكَ وَنَدَبَ إِلَيْهِ ٱلْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى فِي خَمْسِينَ أَلْفًا وَوَلَّاهُ جُرْجَانَ وَطَبَرِسْتَانَ وَٱلرَّيَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ فَتَوَجَّهَ ٱلْفَضْلُ بِٱلْجُنُودِ فَلَاطَفَ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ ٱللهِ وَحَذَّرَهُ وَخَوَّفَهُ وَرَغَّبَهُ فَمَالَ يَحْيَى إِلَى ٱلصُّلْحِ وَطَلَبَ أَمَانًا بِخَطِّ ٱلرَّشِيدِ وَأَنْ يُشْهِدَ عَلَيْهِ فِيهِ ٱلْقُضَاةَ وَٱلْفُقَهَاءَ

وَالْفقهاءَ وَجِلّة بني هاشم فأجابَهُ الرشيدُ إلى ذلِكَ وسُرَّ بِهِ وكتب لهُ أمانا تليعا بِخطِّهِ وَشهِدَ عَلَيْهِ فِيهِ الْقضاةُ وَالْفُقهاءُ ومشايخ بنى هاشم وَسَيّرَ الْأَمَانَ مَعَ هدايا وتحف فقدم يحيى مع الفضل فلقيَهُ الرَّشِيدُ فِي أول الامْر بكلما أحب ثم حبسهُ عِنْدَهُ وَاسْتفتى الْفُقَهاءَ فِي نقض الامان فمنهم مَنْ أفتى بصحتِهِ فحاجّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ أفتى ببطلانه فابطلهُ ثم قتلهُ بَعْد ظُهُورِ آيَة لَهُ عَظِيمَةٍ شرح الآية الى ظهرت فِي قصتهِ يحيى بْنِ عَبْدِ الله حضر رجُلٌ مِنْ آل الزبير بْنِ الْعَوَّامِ عِنْدَ الرشيد وسعى بيحيى وقال انه بَعْدَ الْأمَانِ فعلَ وَصَنعَ ودعا الناس إلى نفسِهِ فاحضرَهُ الرشيدُ مِنْ محبسه وجمع بينهُ وبين الزبيري وسألهُ عنْ ذلِكَ فأنكرَ فوافقهُ الزبيري فقال لهُ يحيى إنْ كُنْتَ صادِقا فاحْلِفْ فقالَ الزبيري والله الطالب الغالب وَأرادَ أنْ يُتِمّمَ الْيَمِينَ فقال لهُ يحيى دعْ هذه اليمين فإنّ اللهَ تعالَى إذا مَجَّدَهُ الْعبْدُ لم يُعجّلْ عقوبتهُ ولكن احْلِفْ لَهُ بِيَمِينِ الْبَرَاءَةِ وهي يمينٌ عُظْمى صُورتها أنْ يَقول عَنْ نَفْسِهِ بَرِئَ مِنْ حَوْلِ

حَوْلِ ٱللّٰهِ وَقُوَّتِهِ وَدَخَلَ فِي حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهَا إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا فَلَمَّا سَمِعَ ٱلزُّبَيْرِيُّ هٰذِهِ ٱلْيَمِينَ ٱرْتَاعَ لَهَا وَقَالَ مَا هٰذِهِ ٱلْيَمِينُ ٱلْعَرِيبَةُ وَٱمْتَنَعَ مِنَ ٱلْحَلِفِ بِهَا فَقَالَ لَهُ ٱلرَّشِيدُ مَا مَعْنَى ٱمْتِنَاعِكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَقُولُ فَمَا خَوْفُكَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْيَمِينِ فَحَلَفَ بِهَا فَمَا خَرَجَ مِنَ ٱلْمَجْلِسِ حَتَّى ضَرَبَ بِرِجْلِهِ وَمَاتَ وَقِيلَ مَا ٱنْقَضَى ٱلنَّهَارُ حَتَّى مَاتَ فَحَمَلُوهُ إِلَى ٱلْقَبْرِ وَحَطُّوهُ فِيهِ وَأَرَادُوا أَنْ يَطُمُّوا ٱلْقَبْرَ بِٱلتُّرَابِ فَكَانُوا كُلَّمَا جَعَلُوا ٱلتُّرَابَ فِيهِ ذَهَبَ ٱلتُّرَابُ وَلَا يَنْطَمُّ ٱلْقَبْرُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا آيَةٌ سَمَاوِيَّةٌ فَسَقَفُوا ٱلْقَبْرَ وَرَاحُوا وَإِلَى ذٰلِكَ أَشَارَ أَبُو فِرَاسِ بْنُ حَمْدَانَ فِي مِيمِيَّتِهِ بِقَوْلِهِ

يَا جَاهِدًا فِي مَسَاوِيهِمْ يُكَتِّمُهَا
غَدْرُ ٱلرَّشِيدِ بِيَحْيَى كَيْفَ يَنْكَتِمُ
ذَاقَ ٱلزُّبَيْرِيُّ غِبَّ ٱلْحِنْثِ وَٱنْكَشَفَتْ
عَنِ ٱبْنِ فَاطِمَةَ ٱلْأَقْوَالُ وَٱلتُّهَمُ

وَمَعَ ظُهُورِ مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْآيَةِ ٱلْعَظِيمَةِ قُتِلَ يَحْيَى فِي ٱلْحَبْسِ شَرَّ قِتْلَةٍ

وكان

وكانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقائعا ورونقا وحسنا وأوسعها رقعة مملكة جبى الرشيد معظم الدنيا وكان أحد عماله صاحب مصر ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ويرفعه الى أعلى درجة وكان فاضلا شاعرا راوية للأخبار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتمييز مهيبا عند الخاصة والعامة فقبض على موسى بن جعفر عليهما السلام وأحضره في قبة إلى بغداد فحبسه بدار السندي بن شاهك ثم قتل وأظهر أنه مات حتف أنفه

شرح كيفية الحال في ذلك كان بعض حساد موسى ابن جعفر من أقاربه قد وشى به إلى الرشيد وقال له إن الناس يحملون إلى موسى خمس أموالهم ويعتقدون إمامته وإنه على عزم الخروج عليك وكثر في القول فوقع ذلك عند الرشيد بموقع أهمه وأقلقه ثم أعطى الواشي مالا أحاله به على البلاد فلم يستمتع به وما وصل المال

ٱلْمَالُ مِنَ ٱلْبِلَادِ إِلَّا وَقَدْ مَرِضَ مَرْضَةً شَدِيدَةً وَمَاتَ فِيهَا وَأَمَّا ٱلرَّشِيدُ فَإِنَّهُ حَجَّ فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ فَلَمَّا وَرَدَ ٱلْمَدِينَةَ قَبَضَ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وَحَمَلَهُ فِي قُبَّةٍ إِلَى بَغْدَاذَ فَحَبَسَهُ عِنْدَ ٱلسِّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكَ وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ بِٱلرَّقَّةِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ قَتْلًا خَفِيًّا ثُمَّ أَدْخَلُوا عَلَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْعُدُولِ بِٱلْكَرْخِ لِيُشَاهِدُوهُ إِظْهَارًا أَنَّهُ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ وَمَاتَ ٱلرَّشِيدُ بِطُوسَ وَكَانَ خَرَجَ إِلَى خُرَاسَانَ لِمُحَارَبَةِ رَافِعِ ٱبْنِ ٱللَّيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ وَكَانَ هَذَا رَافِعٌ قَدْ خَرَجَ وَخَلَعَ ٱلطَّاعَةَ وَتَغَلَّبَ عَلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَتَلَ عَامِلَهَا وَمَلَكَهَا وَقَوِيَتْ شَوْكَتُهُ فَخَرَجَ ٱلرَّشِيدُ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ فَمَاتَ بِطُوسَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ

شَرْحُ حَالِ ٱلْوِزَارَةِ فِي أَيَّامِهِ لَمَّا بُويِعَ بِٱلْخِلَافَةِ ٱسْتَوْزَرَ كَاتِبَهُ قَبْلَ ٱلْخِلَافَةِ يَحْيَى بْنَ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَظَهَرَتْ دَوْلَةُ بَنِي بَرْمَكٍ مُنْذُ حِينَئِذٍ

شَرْحُ أَحْوَالِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْبَرْمَكِيَّةِ وَذِكْرُ مَبْدَإِهَا وَمَآلِهَا كَانُوا قَدِيمًا عَلَى دِينِ ٱلْمَجُوسِ ثُمَّ أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ

وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ وَقَدْ ذَكَرْنَا وِزَارَةَ جَدِّهِمْ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ فِي أَيَّامِ ٱلْمَنْصُورِ وَنَذْكُرُ هَاهُنَا وِزَارَةَ ٱلْبَاقِينَ وَقَبْلَ ٱلْخَوْضِ فِي ذَٰلِكَ فَهٰذِهِ كَلِمَاتٌ نُعَرِّفُ مِنْهَا نُبْذَةً مِنْ أَحْوَالِ هٰذِهِ ٱلدَّوْلَةِ اِعْلَمْ أَنَّ هٰذِهِ ٱلدَّوْلَةَ كَانَتْ غُرَّةً فِي جَبْهَةِ ٱلدَّهْرِ وَتَاجًا عَلَى مَفْرِقِ ٱلْعَصْرِ ضُرِبَتْ بِمَكَارِمِهَا ٱلْأَمْثَالُ وَشُدَّتْ إِلَيْهَا ٱلرِّحَالُ وَنِيطَتْ بِهَا ٱلْآمَالُ وَبَذَلَتْ لَهَا ٱلدُّنْيَا أَفْلَاذَ أَكْبَادِهَا وَمَنَحَتْهَا أَوْفَرَ إِسْعَادِهَا فَكَانَ يَحْيَى وَبَنُوهُ كَٱلنُّجُومِ زَاهِرَةً وَٱلْبُحُورِ زَاخِرَةً وَٱلسُّيُولِ دَافِعَةً وَٱلْغُيُوثِ مَاطِرَةً أَسْوَاقُ ٱلْآدَابِ عِنْدَهُمْ نَافِقَةٌ وَمَرَاتِبُ ذَوِي ٱلْحُرُمَاتِ عِنْدَهُمْ عَالِيَةٌ وَٱلدُّنْيَا فِي أَيَّامِهِمْ عَامِرَةٌ وَأُبَّهَةُ ٱلْمَمْلَكَةِ ظَاهِرَةٌ وَهُمْ مَلْجَأُ ٱللَّهِيفِ وَمُعْتَصَمُ ٱلطَّرِيدِ وَلَهُمْ يَقُولُ أَبُو نُوَاسٍ

سَلَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمُ

بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِ

ذِكْرُ وِزَارَةِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ لِلرَّشِيدِ لَمَّا جَلَسَ ٱلرَّشِيدُ عَلَى سَرِيرِ ٱلْمَمْلَكَةِ ٱسْتَوْزَرَ يَحْيَى بْنَ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَكَانَ كَاتِبَهُ وَنَائِبَهُ وَوَزِيرَهُ قَبْلَ ٱلْخِلَافَةِ فَنَهَضَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ

خَالِدٍ بِأَعْبَاءِ ٱلدَّوْلَةِ أَتَمَّ نُهُوضٍ وَسَدَّ ٱلثُّغُورَ وَتَدَارَكَ ٱلْخَلَلَ وَجَبَى ٱلْأَمْوَالَ وَعَمَّرَ ٱلْأَطْرَافَ وَأَظْهَرَ رَوْنَقَ ٱلْخِلَافَةِ وَتَصَدَّى لِمُهِمَّاتِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَكَانَ كَاتِبًا بَلِيغًا لَسِنًا أَدِيبًا شَدِيدًا صَائِبَ ٱلْآرَاءِ حَسَنَ ٱلتَّدْبِيرِ ضَابِطًا لِمَا تَحْتَ يَدِهِ قَوِيًّا عَلَى ٱلْأُمُورِ جَوَادًا يُبَارِي ٱلرِّيحَ كَرَمًا وَجُودًا مُمَدَّحًا بِكُلِّ لِسَانٍ حَلِيمًا عَفِيفًا وَقُورًا مَهِيبًا وَفِيهِ يَقُولُ ٱلْقَائِلُ

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى
إِنَّنِي إِنْ فَعَلْتُ ضَيَّعْتُ مَالِي
لَوْ يَمَسُّ ٱلْبَخِيلُ رَاحَةَ يَحْيَى
لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَذْلِ ٱلنَّوَالِ

وَمِنْ آرَاءِ يَحْيَى ٱلسَّدِيدَةِ مَا قَالَهُ لِلْهَادِي وَقَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَخْلَعَ أَخَاهُ هَرُونَ مِنَ ٱلْخِلَافَةِ وَيُبَايِعَ لِٱبْنِهِ جَعْفَرٍ ٱبْنِ ٱلْهَادِي وَكَانَ يَحْيَى كَاتِبَ ٱلرَّشِيدِ وَهُوَ يَتَرَجَّى أَنْ يَتَوَلَّى هَرُونُ ٱلْخِلَافَةَ فَيَصِيرَ هُوَ وَزِيرَ ٱلدَّوْلَةِ فَخَلَا ٱلْهَادِي بِيَحْيَى وَوَهَبَ لَهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَحَادَثَهُ فِي خَلْعِ هَرُونَ أَخِيهِ وَٱلْمُبَايَعَةِ لِجَعْفَرٍ ٱبْنِهِ فَقَالَ لَهُ يَحْيَى يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ فَعَلْتَ حَمَلْتَ ٱلنَّاسَ عَلَى نَكْثِ ٱلْأَيْمَانِ وَنَقْضِ ٱلْعُهُودِ وَجَرَّأْتَ ٱلنَّاسَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَلَوْ تَرَكْتَ أَخَاكَ هَرُونَ عَلَى وِلَايَةِ ٱلْعَهْدِ ثُمَّ بَايَعْتَ لِجَعْفَرٍ بَعْدَهُ كَانَ ذَلِكَ أَوْكَدَ فِي بَيْعَتِهِ فَتَرَكَ ٱلْهَادِي ذَلِكَ مُدَّةً ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ ٱلْوَلَدِ فَأَحْضَرَ يَحْيَى مَرَّةً ثَانِيَةً وَفَاوَضَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ يَحْيَى يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَوْ حَدَثَ بِكَ حَادِثُ ٱلْمَوْتِ وَقَدْ خَلَعْتَ أَخَاكَ وَبَايَعْتَ لِٱبْنِكَ جَعْفَرٍ وَهُوَ صَغِيرٌ دُونَ ٱلْبُلُوغِ أَفَتَرَى كَانَتْ خِلَافَتُهُ تَتِمُّ وَكَانَ مَشَايِخُ بَنِي هَاشِمٍ يَرْضَوْنَ ذَلِكَ وَيُسَلِّمُونَ ٱلْخِلَافَةَ إِلَيْهِ قَالَ لَا قَالَ يَحْيَى فَدَعْ هَذَا ٱلْأَمْرَ حَتَّى يَأْتِيَهُ عَفْوًا وَلَوْ لَمْ يَكُنِ ٱلْمَهْدِيُّ بَايَعَ لِهَرُونَ لَوَجَبَ أَنْ تُبَايِعَ أَنْتَ لَهُ لِئَلَّا تَخْرُجَ ٱلْخِلَافَةُ مِنْ بَنِي أَبِيكَ فَصَوَّبَ ٱلْهَادِي رَأْيَهُ وَكَانَ ٱلرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَرَى هَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ أَيَادِي يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ عِنْدَهُ وَمِنْ مَكَارِمِهِ قِيلَ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ لَمَّا نَكَبَ ٱلْبَرَامِكَةَ وَٱسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ حَرَّمَ عَلَى ٱلشُّعَرَاءِ أَنْ يَرْثُوهُمْ وَأَمَرَ بِٱلْمُؤَاخَذَةِ عَلَى ذَلِكَ فَٱجْتَازَ بَعْضُ ٱلْحَرَسِ بِبَعْضِ ٱلْخَرَابَاتِ فَرَأَى إِنْسَانًا وَاقِفًا وَفِي يَدِهِ

يَدِهِ رُقْعَةٌ فِيهَا شِعْرٌ يَتَضَمَّنُ رِثَاءَ ٱلْبَرَامِكَةِ وَهُوَ يُنْشِدُهُ وَيَبْكِي فَأَخَذَهُ ٱلْحَرَسُ وَأَتَى بِهِ إِلَى ٱلرَّشِيدِ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلصُّورَةَ فَٱسْتَحْضَرَهُ ٱلرَّشِيدُ وَسَأَلَهُ عَن ذَلِكَ فَٱعْتَرَفَ بِهِ فَقَالَ لَهُ ٱلرَّشِيدُ أَمَا سَمِعْتَ تَحْرِيمِي لِرِثَائِهِمْ لَأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَأَصْنَعَنَّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَذِنْتَ لِي فِي حِكَايَةِ حَالِي حَكَيْتُهَا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأْيُكَ قَالَ قُلْ قَالَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ أَصْغَرِ كُتَّابِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَأَرَقِّهِمْ حَالًا فَقَالَ لِي يَوْمًا أُرِيدُ أَنْ تُضِيفَنِي فِي دَارِكَ يَوْمًا فَقُلْتُ يَا مَوْلَانَا أَنَا دُونَ ذَلِكَ وَدَارِي لَا تَصْلُحُ لِهَذَا قَالَ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ قُلْتُ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَمْهِلْنِي مُدَّةً حَتَّى أُصْلِحَ شَأْنِي وَمَنْزِلِي ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأْيُكَ قَالَ كَمْ أُمْهِلُكَ قُلْتُ سَنَةً قَالَ كَثِيرٌ قُلْتُ شُهُورًا قَالَ نَعَمْ فَمَضَيْتُ وَشَرَعْتُ فِي إِصْلَاحِ ٱلْمَنْزِلِ وَتَهْيِئَةِ أَسْبَابِ ٱلدَّعْوَةِ فَلَمَّا تَهَيَّأَتِ ٱلْأَسْبَابُ أَعْلَمْتُ ٱلْوَزِيرَ بِذَلِكَ فَقَالَ نَحْنُ غَدًا عِنْدَكَ فَمَضَيْتُ وَتَهَيَّأْتُ فِي ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فَحَضَرَ ٱلْوَزِيرُ فِي غَدٍ وَمَعَهُ ٱبْنَاهُ جَعْفَرٌ وَٱلْفَضْلُ وَعِدَّةٌ يَسِيرَةٌ مِنْ خَوَاصِّ أَتْبَاعِهِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَنَزَلَ وَلَدَاهُ

ولدَاهُ جعْفَرٌ وَٱلْفَضْلُ وَمَنْ معَهُ وَقَالَ يَا فُلَانُ أَنَا جَائِعٌ
فَعَجِّلْ لِي بِشَيْءٍ فَقَالَ لِيَ ٱلْفَضْلُ ٱبْنُهُ ٱلْوَزِيرُ يُحِبُّ ٱلْفَرَارِيجَ
ٱلْمَشْوِيَةَ فَعَجِّلْ مِنْهَا مَا حَضَرَ فَدَخَلْتُ وَأَحْضَرْتُ شَيْئًا
فَأَكَلَ ٱلْوَزِيرُ ثُمَّ قَامَ يَتَمَشَّى فِي ٱلدَّارِ وَقَالَ يَا فُلَانُ
مرَحْبًا فِي دارك فَقُلْتُ يَا مَوْلَانَا هَذِهِ هِيَ دَارِي لَيْسَ لِي
غَيْرُهَا قَالَ بَلَى لَكَ غَيْرُهَا قُلْتُ وَٱللهِ مَا أَمْلِكُ سِوَاهَا
فَقَالَ هَاتُوا بَنَّاءً فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ ٱفْتَحْ فِي هَذَا ٱلْحَائِطِ
بَابًا فَمَضَى لِيَفْتَحَ فَقُلْتُ يَا مَوْلَانَا كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُفْتَحَ
بَابٌ إِلَى بُيُوتِ ٱلْجِيرَانِ وَٱللهُ أَوْصَى بِحِفْظِ ٱلْجَارِ قَالَ لَا بَأْسَ
فِي ذلك ثُمَّ فتحَ ٱلبابُ فقَامَ ٱلْوَزِيرُ وَٱبْنَاؤُهُ فَدَخَلُوا فِيهِ
وأَنَا معهُمْ فَخَرَجُوا مِنْهُ إِلَى بُسْتَانٍ حَسَنٍ كَثِيرِ ٱلْأَشْجَارِ
وَٱلْمَاءُ يَتَدَفَّقُ فيه وفيه من ٱلْمَقَاصِيرِ وَٱلْمَسَاكِنِ مَا
يَرُوقُ كُلَّ نَاظِرٍ وفيه من ٱلْآلَاتِ وَٱلْفُرْشِ وَٱلْخَدَمِ وَٱلْجَوَارِي
كُلّ جميل بديع فقالَ هذا ٱلْمَنْزِلُ وَجَمِيعُ مَا فِيهِ لَكَ
فَقَبَّلْتُ يدهُ ودعوتُ لهُ وَتَحَقَّقْتُ ٱلْقِصَّةَ فَإِذَا هُوَ مِنْ
يوْمِ خاطبني في معنى ٱلدَّعْوَةِ قَدْ أَرْسَلَ وَٱشْتَرَى ٱلْأَمْلَاكَ
ٱلْمُجاورة لي وعمرها دارًا حَسَنَةً وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
وَأَنَا

وأنا لا أعلم وكنت أرى العمارة وأحسنها لبعض الجيران فقال لابنه جعفر يا بني هذا منزل وعيال فالمائدة من أين تكون له قال جعفر قد أعطيته الضيعة الفلانية بما فيها وسأكتب له بذلك كتابا فالتفت إلى ابنه الفضل وقال له يا بني فمن الآن إلى أن يدخل دخل هذه الضيعة ما الذي ينفق فقال الفضل علي عشرة آلاف دينار أحملها إليه فقال فعجلا له ما قلتما فكتب لي جعفر بالضيعة وحمل الفضل إلي المال فأثريت وارتفعت حالي ولبست بعد ذلك نعمة مدة طائلة أنا أتقلب فيه إلى اليوم فوالله يا أمير المؤمنين ما أجد فرصة أمكنني فيها من الثناء عليهم والدعاء لهم إلا انتهزتها مكافأة لهم على إحسانهم ولن أقدر على مكافأته فإن كنت قاتلي على ذلك فافعل ما بدا لك فرق الرشيد لذلك وأطلقه وأذن لجميع الناس في رثائهم

قيل أن هرون الرشيد حج ومعه يحيى بن خالد بن برمك ومعه ولداه الفضل وجعفر فلما وصلوا إلى مدينة الرسول صلوات الله عليه جلس الرشيد ومعه

يحيى

يَحْيَى وَأَعْطَا ٱلنَّاسَ وَجَلَسَ ٱلْأَمِينُ وَمَعَهُ ٱلْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَأَعْطَا ٱلنَّاسَ وَجَلَسَ ٱلْمَأْمُونُ وَمَعَهُ جَعْفَرٌ وَأَعْطَا ٱلنَّاسَ وَأُعْطُوا فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ ثَلَاثَ أَعْطِيَاتٍ ضُرِبَتْ بِكَثْرَتِهَا ٱلْأَمْثَالُ وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ عَامَ ٱلْأَعْطِيَاتِ ٱلثَّلٰثِ وَأَثْرَى ٱلنَّاسُ بِسَبَبِ ذٰلِكَ وَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ ٱلشَّاعِرُ

أَتَانَا بَنُو ٱلْآمَالِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ
فَيَا طِيبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنْظَرِ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى ٱلْعِدَى
وَأُخْرَى إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٱلْمُسَتَّرِ
إِذَا نَزَلُوا بَطْحَاءَ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ
بِيَحْيَى وَبِٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرِ
فَتُظْلِمُ بَغْدَادٌ وَيَجْلُو لَنَا ٱلدُّجَى
بِمَكَّةَ مَا يَجْلُو ثَلَاثَةُ أَقْمُرِ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِجُودٍ أَكُفُّهُمْ
وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادِ مِنْبَرِ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى ٱلْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ
وَنَاهِيكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدَبِّرِ

كَانَ

كَانَ يَحْيَى يَقُولُ مَا خَاطَبَنِي أَحَدٌ إِلَّا هِبْتُهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ فَإِذَا تَكَلَّمَ كَانَ بَيْنَ ٱثْنَتَيْنِ إِمَّا أَنْ نَزِيدَ هَيْبَتُهُ أَوْ تَضْمَحِلَّ وَكَانَ يَقُولُ ٱلْمَوَاعِيدُ شِبَاكُ ٱلْكِرَامِ يَصِيدُونَ بِهَا مَحَامِدَ ٱلْأَحْرَارِ كَانَ يَحْيَى إِذَا رَكِبَ يُعِدُّ صُرَرًا فِي كُلِّ صُرَّةٍ مِئَتَا دِرْهَمٍ يَدْفَعُهَا إِلَى ٱلْمُتَعَرِّضِينَ لَهُ

سِيرَةُ وَلَدِهِ ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى كَانَ ٱلْفَضْلُ مِنْ كِرَامِ ٱلدُّنْيَا وَأَجْوَادِ أَهْلِ عَصْرِهِ وَكَانَ قَدْ أَرْضَعَتْهُ أُمُّ هَرُونَ ٱلرَّشِيدِ وَأَرْضَعَتْ أُمُّهُ ٱلرَّشِيدَ وَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ مَرْوَانُ ٱبْنُ أَبِي حَفْصَةَ

كَفَى لَكَ فَخْرًا أَنَّ أَكْرَمَ حُرَّةٍ
عَدَتْكَ بِثَدْيٍ وَٱلْخَلِيفَةَ وَاحِدِ
لَقَدْ زِنْتَ يَحْيَى فِي ٱلْمَشَاهِدِ كُلِّهَا
كَمَا زَانَ يَحْيَى خَالِدًا فِي ٱلْمَشَاهِدِ

وَلَّاهُ ٱلرَّشِيدُ خُرَاسَانَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو ٱلْهَوْلِ ٱلشَّاعِرُ مَادِحًا مُعْتَذِرًا مِنْ شِعْرٍ كَانَ هَجَاهُ بِهِ فَأَنْشَدَهُ

سَرَى نَحْوَهُ مِنْ عَضْبَةِ ٱلْفَضْلِ عَارِضٌ
لَهُ لُجَّةٌ فِيهَا ٱلْبَوَارِقُ وَٱلرَّعْدُ

وَكَيْفَ يَنَامُ ٱللَّيْلَ مُلْقٍ فِرَاشَهُ
عَلَى مَدْرَجٍ يَعْتَادُهُ ٱلْأَسَدُ ٱلْوَرْدُ
وَمَا لِيَ إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
مِنَ ٱلْجُرْمِ مَا يَخْشَى عَلَى مِثْلِهِ ٱلْحِقْدُ
فَجُدْ بِالرِّضَى لَا أَبْتَغِي مِنْكَ غَيْرَهُ
وَرَأْيُكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ

فَقَالَ لَهُ ٱلْفَضْلُ لَا أَحْتَمِلُ تَفْرِيقَكَ بَيْنَ رِضَايَ وَإِحْسَانِي وَهُمَا مَقْرُونَانِ فَإِنْ أَرَدْتَهُمَا مَعًا وَإِلَّا فَدَعْهُمَا مَعًا ثُمَّ وَصَلَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ

حَدَّثَ إِسْحٰقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمَوْصِلِيُّ قَالَ كُنْتُ قَدْ رَبَّيْتُ جَارِيَةً حَسَنَةَ ٱلْوَجْهِ وَثَقَّفْتُهَا وَعَلَّمْتُهَا حَتَّى بَرَعَتْ ثُمَّ أَهْدَيْتُهَا إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ لِي يَا إِسْحٰقُ إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ مِصْرَ قَدْ وَرَدَ إِلَيَّ يَسْأَلُنِي حَاجَةً أَسْرَحُهَا عَلَيْهِ فَدَعْ هٰذِهِ ٱلْجَارِيَةَ عِنْدَكَ فَإِنِّي سَأَطْلُبُهَا وَأُعْلِمُهُ أَنِّي أُرِيدُهَا فَإِنَّهُ سَوْفَ يَحْضُرُ إِلَيْكَ وَيُسَاوِمُكَ فِيهَا فَلَا تَأْخُذْ فِيهَا أَقَلَّ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ قَالَ إِسْحَاقُ فَمَضَيْتُ بِٱلْجَارِيَةِ إِلَى مَنْزِلِي فَجَآءَ إِلَيَّ رَسُولُ صَاحِبِ

مِصْرَ وَسَأَلَنِي عَنِ ٱلْجَارِيَةِ فَأَخْرَجْتُهَا إِلَيْهِ فَبَذَلَ فِيهَا عَشَرَةَ آلَافِ دِينَارٍ فَٱمْتَنَعْتُ فَصَعِدَ إِلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَٱمْتَنَعْتُ فَصَعِدَ إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَمَا مَلَكْتُ نَفْسِي حَتَّى قُلْتُ لَهُ بِعْتُكَ وَسَلَّمْتُ ٱلْجَارِيَةَ إِلَيْهِ وَقَبَضْتُ مِنْهُ ٱلْمَالَ ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ مِنَ ٱلْغَدِ إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ يَا إِسْحَاقُ بِكَمْ بِعْتَ ٱلْجَارِيَةَ قُلْتُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقَلَّ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا قُلْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي وَٱللهِ مَا مَلَكْتُ نَفْسِي مُنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ ٱلرُّومِ قَدْ سَأَلَنِي أَيْضًا حَاجَةً وَسَأَقْتَرِحُ عَلَيْهِ هٰذِهِ ٱلْجَارِيَةَ وَأَدُلُّهُ عَلَيْكَ خُذْ جَارِيَتَكَ وَٱنْصَرِفْ إِلَى مَنْزِلِكَ فَإِذَا سَاوَمَكَ فِيهَا فَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقَلَّ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَخَذْتُ ٱلْجَارِيَةَ وَٱنْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَأَتَانِي رَسُولُ صَاحِبِ ٱلرُّومِ وَسَاوَمَنِي فِي ٱلْجَارِيَةِ فَطَلَبْتُ خَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ هٰذَا كَثِيرٌ وَلٰكِنْ تَأْخُذُ مِنِّي ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَوَٱللهِ مَا مَلَكْتُ نَفْسِي مُنْذُ سَمِعْتُ لَفْظَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا حَتَّى قُلْتُ لَهُ قَدْ بِعْتُكَ ثُمَّ قَبَضْتُ ٱلْمَالَ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ ٱلْجَارِيَةَ إِلَيْهِ

وَمَضَيْتُ مِنَ ٱلْغَدِ إِلَى ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ مَا صَنَعْتَ
وَبِكَمْ بِعْتَ ٱلْجَارِيَةَ يَا إِسْحَاقُ قُلْتُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا قَالَ
سُبْحَانَ ٱللّٰهِ مَا أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْخُذَ فِيهَا أَقَلَّ مِنْ خَمْسِينَ
أَلْفًا قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَٱللّٰهِ إِنِّي لَمَّا سَمِعْتُ قَوْلَهُ
ثَلَاثِينَ أَلْفًا ٱسْتَرْخَتْ جَمِيعُ أَعْضَائِي فَضَحِكَ وَقَالَ خُذْ
جَارِيَتَكَ وَٱذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِكَ فَفِي غَدٍ يَجِيءُ إِلَيْكَ رَسُولُ
صَاحِبِ خُرَاسَانَ فَقَوِّ نَفْسَكَ وَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقَلَّ مِنْ
خَمْسِينَ أَلْفًا قَالَ إِسْحَقُ فَأَخَذْتُ ٱلْجَارِيَةَ وَمَضَيْتُ إِلَى مَنْزِلِي
فَجَاءَنِي رَسُولُ صَاحِبِ خُرَاسَانَ وَسَاوَمَنِي فِيهَا فَطَلَبْتُ
خَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ لِي هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَأْخُذُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا
فَقَوَّيْتُ نَفْسِي وَٱمْتَنَعْتُ فَصَعِدَ مَعِي إِلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ
دِينَارٍ فَكَادَ عَقْلِي يَذْهَبُ مِنَ ٱلْفَرَحِ وَلَمْ أَتَمَالَكْ أَنْ
قُلْتُ لَهُ بِعْتُكَ فَأَحْضَرَ ٱلْمَالَ وَأَقْبَضَنِيهِ وَسَلَّمْتُ ٱلْجَارِيَةَ
إِلَيْهِ وَمَضَيْتُ مِنَ ٱلْغَدِ إِلَى ٱلْفَضْلِ فَقَالَ لِي يَا إِسْحَاقُ
بِكَمْ بِعْتَ ٱلْجَارِيَةَ قُلْتُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَوَٱللّٰهِ لَمَّا سَمِعْتُهَا
مِنْهُ كَادَ عَقْلِي يَذْهَبُ وَقَدْ حَصَلَ عِنْدِي جُعِلْتُ
فِدَاكَ مِنْهُ أَلْفُ دِينَارٍ وَلَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ فَأَحْسَنَ ٱللّٰهُ
جَزَاءَكَ

جَزَآءَكَ فَأَمَرَ بِالْجَارِيَةِ فَأُخْرِجَتْ إِلَيَّ وَقَالَ يَا إِسْحَاقُ خُذْ جَارِيَتَكَ وَٱنْصَرِفْ قَالَ إِسْحَاقُ فَقُلْتُ هَذِهِ ٱلْجَارِيَةُ وَٱللهِ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ بَرَكَةً فَأَعْتَقْتُهَا وَتَزَوَّجْتُهَا فَوَلَدَتْ لِي أَوْلَادِي

قِيلَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْإِمَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ ٱبْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ حَضَرَ يَوْمًا عِنْدَ ٱلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَمَعَهُ سَفَطٌ فِيهِ جَوْهَرٌ وَقَالَ لَهُ إِنَّ حَاصِلِي قَدْ قَصُرَ عَمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَقَدْ عَلَايَ دَيْنٌ مَبْلَغُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ أُعْلِمَ أَحَدًا بِذَلِكَ وَآنَفُ أَنْ أَسْأَلَ أَحَدًا مِنَ ٱلتُّجَّارِ أَنْ يُقْرِضَنِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مَعِي رَهْنٌ يَفِي بِالْقِيمَةِ وَأَنْتَ أَبْقَاكَ ٱللهُ لَكَ تُجَّارٌ يُعَامِلُونَكَ وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْتَرِضَ لِي مِنْ أَحَدِهِمْ هَذَا ٱلْمَبْلَغَ وَتُعْطِيَهُ هَذَا ٱلرَّهْنَ فَقَالَ لَهُ ٱلْفَضْلُ ٱلسَّمْعُ وَٱلطَّاعَةُ وَلَكِنْ نُجْحُ هَذِهِ ٱلْحَاجَةِ أَنْ تُقِيمَ عِنْدِي هَذَا ٱلْيَوْمَ فَأَقَامَ عِنْدَهُ ثُمَّ إِنَّ ٱلْفَضْلَ أَخَذَ ٱلسَّفَطَ مِنْهُ وَهُوَ مَخْتُومٌ بِخَتْمِهِ وَأَرْسَلَ مَعَهُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَنَقَدَ ٱلدَّرَاهِمَ وَٱلسَّفَطَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَخَذَ خَطَّ وَكِيلِهِ بِقَبْضِهِ فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ فِي دَارِ ٱلْفَضْلِ

ٱلْفَضْلِ إِلَى آخِرِ ٱلنَّهَارِ ثُمَّ ٱنْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ ٱلسَّفَطَ وَمَعَهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَسُرَّ بِذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ بَكَّرَ إِلَى ٱلْفَضْلِ لِيَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ فَوَجَدَهُ قَدْ بَكَّرَ إِلَى دَارِ ٱلرَّشِيدِ فَمَضَى مُحَمَّدٌ إِلَى دَارِ ٱلرَّشِيدِ فَلَمَّا عَلِمَ ٱلْفَضْلُ بِهِ خَرَجَ مِنْ بَابٍ آخَرَ وَمَضَى إِلَى دَارِ أَبِيهِ فَمَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ فَحِينَ عَلِمَ بِهِ خَرَجَ بِبَابٍ آخَرَ وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ فَمَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ وَٱجْتَمَعَ بِهِ وَشَكَرَهُ عَلَى فِعْلِهِ وَقَالَ لَهُ إِنِّي بَكَّرْتُ إِلَيْكَ لِأَشْكُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ فَقَالَ لَهُ ٱلْفَضْلُ إِنِّي فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ فَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ ٱلْأَلْفَ أَلْفِ ٱلَّتِي حَمَلْتُهَا أَمْسِ إِلَيْكَ تَقْضِي بِهَا دَيْنَكَ ثُمَّ تَحْتَاجُ فَتَقْتَرِضُ فَعَنْ قَلِيلٍ يَعْلُوكَ مِثْلُهَا فَبَكَّرْتُ ٱلْيَوْمَ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَالَكَ وَأَخَذْتُ لَكَ مِنْهُ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ أُخْرَى فَلَمَّا حَضَرْتَ إِلَى بَابِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَرَجْتُ أَنَا بِبَابٍ آخَرَ وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ لَمَّا حَضَرْتَ إِلَى بَابِ أَبِي لِأَنِّي مَا كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ أَلْقَاكَ حَتَّى يُحْمَلَ ٱلْمَالُ إِلَى مَنْزِلِكَ وَقَدْ حُمِلَ فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ بِأَيِّ شَيْءٍ أُجَازِيكَ عَلَى هَذَا ٱلْإِحْسَانِ مَا عِنْدِي

شَيْءٌ

شَيْءٌ أُجَازِيكَ بِهِ إِلَّا أَنِّي أَلْتَزِمُ بِالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ وَبِالطَّلَاقِ وَالْعَتَاقِ وَالْحَجِّ أَنِّي مَا أَقِفُ عَلَى بَابِ غَيْرِكَ وَلَا أَسْأَلُ سِوَاكَ قَالُوا وَحَلَفَ مُحَمَّدٌ أَيْمَانًا مُؤَكَّدَةً وَكَتَبَ بِهَا خَطَّهُ وَأَشْهَدَ بِهَا عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَقِفُ بِبَابِ غَيْرِ الْفَضْلِ ابْنِ يَحْيَى فَلَمَّا ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الْبَرَامِكَةِ وَتَوَلَّى الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ الْوِزَارَةَ بَعْدَهُمْ احْتَاجَ مُحَمَّدٌ فَقَالُوا لَهُ لَوْ رَكِبْتَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَلَمْ يَفْعَلْ وَالْتَزَمَ بِالْيَمِينِ فَلَمْ يَرْكَبْ إِلَى أَحَدٍ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى بَابِ أَحَدٍ حَتَّى مَاتَ

سِيرَةُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَصِيحًا لَبِيبًا ذَكِيًّا فَطِنًا كَرِيمًا حَلِيمًا وَكَانَ الرَّشِيدُ يَأْنَسُ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ أُنْسِهِ بِأَخِيهِ الْفَضْلِ لِسُهُولَةِ أَخْلَاقِ جَعْفَرٍ وَشَرَاسَةِ أَخْلَاقِ الْفَضْلِ قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِيَحْيَى يَا أَبِي مَا بَالُ النَّاسِ يُسَمُّونَ الْفَضْلَ الْوَزِيرَ الصَّغِيرَ وَلَا يُسَمُّونَ جَعْفَرًا بِذَلِكَ فَقَالَ يَحْيَى لِأَنَّ الْفَضْلَ يَخْلُفُنِي قَالَ فَضُمَّ إِلَى جَعْفَرٍ أَعْمَالًا كَأَعْمَالِ الْفَضْلِ فَقَالَ يَحْيَى إِنَّ خِدْمَتَكَ وَمُنَادَمَتَكَ تُشْغِلَانِهِ عَنْ ذَلِكَ فَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرَ دَارِ الرَّشِيدِ وَسُمِّيَ بِالْوَزِيرِ الصَّغِيرِ أَيْضًا

قَالَ

قَالَ ٱلرَّشِيدُ يَوْمًا لِيَحْيَى قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَنْقُلَ دِيوَانَ ٱلْخَاتِمِ مِنَ ٱلْفَضْلِ إِلَى جَعْفَرٍ وَقَدِ ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ مُكَاتَبَتِهِ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى فَٱكْتُبْ أَنْتَ إِلَيْهِ فَكَتَبَ يَحْيَى إِلَى ٱلْفَضْلِ قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى ٱللّٰهُ أَمْرَهُ أَنْ تُحَوِّلَ ٱلْخَاتِمَ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ فَأَجَابَهُ ٱلْفَضْلُ قَدْ سَمِعْتُ لِمَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي وَمَا ٱنْتَقَلَتْ عَنِّي نِعْمَةٌ صَارَتْ إِلَيْهِ وَلَا غَرَبَتْ عَنِّي رُتْبَةٌ طَلَعَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ جَعْفَرٌ لِلّٰهِ دَرُّ أَخِي مَا أَنْفَسَ نَفْسَهُ وَأَظْهَرَ دَلَائِلَ ٱلْفَضْلِ عَلَيْهِ وَأَقْوَى مُنَّةَ ٱلْعَقْلِ عِنْدَهُ وَأَوْسَعَ فِي ٱلْبَلَاغَةِ ذَرْعَهُ

قِيلَ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى ٱلْبَرْمَكِيَّ جَلَسَ يَوْمًا لِلشُّرْبِ وَأَحَبَّ ٱلْخَلْوَةَ فَأَحْضَرَ نُدَمَآءَهُ ٱلَّذِينَ يَأْنَسُ بِهِمْ وَجَلَسَ مَعَهُمْ وَقَدْ هُيِّئَ ٱلْمَجْلِسُ وَلَبِسُوا ثِيَابَ ٱلْمُصَبَّغَةِ وَكَانُوا إِذَا جَلَسُوا فِي مَجْلِسِ ٱلشَّرَابِ وَٱللَّهْوِ لَبِسُوا ٱلثِّيَابَ ٱلْحُمْرَ وَٱلصُّفْرَ وَٱلْخُضْرَ ثُمَّ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى تَقَدَّمَ إِلَى ٱلْحَاجِبِ أَنْ لَا يَأْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ ٱللّٰهِ تَعَالَى سِوَى رَجُلٍ مِنَ ٱلنُّدَمَآءِ كَانَ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ ٱسْمُهُ

عبد الملك بن صالح ثم جلسوا يشربون ودارت الكاسات
وخفقت العيدان وكان رجل من اقارب الخليفة يقال
له عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس
وكان شديد الوقار والدين والحشمة وكان الرشيد قد
التمس منه أن ينادمه ويشرب معه وبذل له على ذلك
أموالا جليلة فلم يفعل فاتفق أن هذا عبد الملك
ابن صالح حضر الى باب جعفر بن يحيى ليخاطبه في حوائج
له فظن الحاجب أنه هو عبد الملك بن صالح الذي
تقدم جعفر بن يحيى بالاذن له وأن لا يدخل غيره
فأذن الحاجب له فدخل عبد الملك بن صالح العباسي
على جعفر بن يحيى فلما رآه جعفر كاد عقله يذهب
من الحياء وفطن أن القضية قد اشتبهت على الحاجب
بطريق اشتباه الاسم وفطن عبد الملك بن صالح أيضا
للقضية وظهر له الخجل في وجه جعفر بن يحيى فانبسط
عبد الملك وقال لا بأس عليكم اخلعوا لنا من هذه
الثياب المصبغة شيئا فأحضر له قميص مصبوغ فلبسه
وجلس يباسط جعفر بن يحيى ويمازحه وقال اسقونا

مِنْ شَرَابِكُمْ فَسَقَوْهُ رِطْلًا وَقَالَ ٱرْفُقُوا بِنَا فَلَيْسَ لَنَا عَادَةٌ
بِهَذَا ثُمَّ بَاسَطَهُمْ وَمَازَحَهُمْ وَمَا زَالَ حَتَّى ٱنْبَسَطَ جَعْفَرُ
ٱبْنُ يَحْيَى وَزَالَ ٱنْقِبَاضُهُ وَحَيَاؤُهُ فَفَرِحَ جَعْفَرٌ بِذَلِكَ
فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ لَهُ مَا حَاجَتُكَ قَالَ جِئْتُ أَصْلَحَكَ
ٱللّٰهُ فِي ثَلَاثِ حَوَائِجَ أُرِيدُ أَنْ تُخَاطِبَ ٱلْخَلِيفَةَ فِيهَا
أَوَّلُهَا أَنَّ عَلَيَّ دَيْنًا مَبْلَغُهُ أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ أُرِيدُ قَضَاءَهُ
وَثَانِيهَا أُرِيدُ وِلَايَةً لِٱبْنِي يَشْرُفُ بِهَا قَدْرُهُ وَثَالِثُهَا أُرِيدُ
أَنْ تُزَوِّجَ وَلَدِي بِٱبْنَةِ ٱلْخَلِيفَةِ فَإِنَّهَا بِنْتُ عَمِّهِ وَهُوَ
كُفْؤٌ لَهَا فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى قَدْ قَضَى ٱللّٰهُ هَذِهِ
ٱلْحَوَائِجَ ٱلثَّلَاثَ أَمَّا ٱلْمَالُ فَفِي هَذِهِ ٱلسَّاعَةِ يُحْمَلُ إِلَى
مَنْزِلِكَ وَأَمَّا ٱلْوِلَايَةُ فَقَدْ وَلَّيْتُ ٱبْنَكَ مِصْرَ وَأَمَّا ٱلزَّوَاجُ
فَقَدْ زَوَّجْتُهُ فُلَانَةَ ٱبْنَةَ مَوْلَانَا أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى صَدَاقٍ
مَبْلَغُهُ كَذَا وَكَذَا فَٱنْصَرِفْ فِي أَمَانِ ٱللّٰهِ فَرَاحَ
عَبْدُ ٱلْمَلِكِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَرَأَى ٱلْمَالَ قَدْ سَبَقَهُ وَلَمَّا كَانَ
مِنَ ٱلْغَدِ حَضَرَ جَعْفَرٌ عِنْدَ ٱلرَّشِيدِ وَعَرَّفَهُ مَا جَرَى
وَأَنَّهُ قَدْ وَلَّاهُ مِصْرَ وَزَوَّجَهُ ٱبْنَتَهُ فَعَجِبَ ٱلرَّشِيدُ مِنْ
ذَلِكَ وَأَمْضَى ٱلْعَقْدَ وَٱلْوِلَايَةَ فَمَا خَرَجَ جَعْفَرٌ مِنْ دَارِ
ٱلرَّشِيدِ

ٱلرَّشِيدِ حَتَّى كَتَبَ لَهُ ٱلتَّقْلِيدَ بِمِصْرَ وَأَحْضَرَ ٱلْقُضَاةَ وَٱلشُّهُودَ وَعَقَدَ ٱلْعَقْدَ

وَقِيلَ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ عَدَاوَةٌ وَوَحْشَةٌ وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا مُجَانِبًا لِلْآخَرِ فَزَوَّرَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ كِتَابًا عَنْ لِسَانِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ مَضْمُونُهُ أَنَّ حَامِلَ هَذَا ٱلْكِتَابِ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِنَا وَقَدْ آثَرَ ٱلتَّفَرُّجَ فِي ٱلدِّيَارِ ٱلْمِصْرِيَّةِ فَأُرِيدُ أَنْ تُحْسِنَ ٱلْإِلْتِفَاتَ إِلَيْهِ وَبَالَغَ فِي ٱلْوَصِيَّةِ ثُمَّ أَخَذَ ٱلْكِتَابَ وَمَضَى إِلَى مِصْرَ وَعَرَضَهُ عَلَى صَاحِبِهَا فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ تَعَجَّبَ مِنْهُ وَفَرِحَ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ حَصَلَ عِنْدَهُ ٱرْتِيَابٌ وَشَكٌّ فِي ٱلْكِتَابِ فَأَكْرَمَ ٱلرَّجُلَ وَأَنْزَلَهُ فِي دَارٍ حَسَنَةٍ وَأَقَامَ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَخَذَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى وَكِيلِهِ بِبَغْدَادَ وَقَالَ لَهُ قَدْ وَصَلَ شَخْصٌ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْوَزِيرِ بِهَذَا ٱلْكِتَابِ وَقَدِ ٱرْتَبْتُ بِهِ فَأُرِيدُ أَنْ تَتَفَحَّصَ لِي عَنْ حَقِيقَةِ ٱلْحَالِ فِي ذَلِكَ وَهَلْ هَذَا خَطُّ ٱلْوَزِيرِ أَمْ لَا وَأَرْسَلَ كِتَابَ ٱلْوَزِيرِ صُحْبَةَ مَكْتُوبِهِ إِلَى وَكِيلِهِ فَجَاءَ ٱلْوَكِيلُ إِلَى وَكِيلِ ٱلْوَزِيرِ وَحَدَّثَهُ بِٱلْقِصَّةِ وَأَرَاهُ ٱلْكِتَابَ فَأَخَذَهُ

وَكِيلُ ٱلْوَزِيرِ وَدَخَلَ إِلَى ٱلْوَزِيرِ وَعَرَّفَهُ ٱلْحَالَ فَلَمَّا وَقَفَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى عَلَى ٱلْكِتَابِ عَلِمَ أَنَّهُ مُزَوَّرٌ عَلَيْهِ وَكَانَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ نُدَمَائِهِ وَنُوَّابِهِ فَرَمَى ٱلْكِتَابَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ أَهٰذَا خَطِّي فَتَأَمَّلُوهُ وَأَنْكَرُوهُ كُلُّهُمْ وَقَالُوا هٰذَا مُزَوَّرٌ عَلَى ٱلْوَزِيرِ فَعَرَّفَهُمْ صُورَةَ ٱلْحَالِ وَأَنَّ ٱلَّذِي زَوَّرَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ مَوْجُودٌ بِمِصْرَ عِنْدَ صَاحِبِهَا وَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ عَوْدَ ٱلْجَوَابِ بِتَحْقِيقِ حَالِهِ وَقَالَ لَهُمْ مَا تَرَوْنَ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ فِي هٰذَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَلَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ حَتَّى تَنْحَسِمَ هٰذِهِ ٱلْمَادَّةُ وَلَا يَرْجِعَ أَحَدٌ يَتَجَرَّأُ عَلَى مِثْلِ هٰذَا ٱلْفِعْلِ وَقَالَ آخَرُ يَنْبَغِي أَنْ تُقْطَعَ يَمِينُهُ ٱلَّتِي زَوَّرَ بِهَا هٰذَا ٱلْخَطَّ وَقَالَ آخَرُ يَنْبَغِي أَنْ يُوجَعَ ضَرْبًا وَيُطْلَقَ حَالَ سَبِيلِهِ وَكَانَ أَحْسَنُهُمْ مَحْضَرًا مَنْ قَالَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عُقُوبَتُهُ عَلَى هٰذَا ٱلْفِعْلِ حِرْمَانَهُ وَأَنْ يُعَرِّفَ صَاحِبُ مِصْرَ بِحَالِهِ لِيَحْرِمَهُ فَيَكْفِيهِ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ أَنَّهُ قَدْ قَطَعَ هٰذِهِ ٱلْمَسَافَةَ ٱلْبَعِيدَةَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ يَرْجِعُ خَائِبًا فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ حَدِيثِهِمْ قَالَ جَعْفَرٌ سُبْحَانَ ٱللّٰهِ أَلَيْسَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا

مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْمُجَانَبَةِ وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا كَانَتْ تَمْنَعُهُ عِزَّةُ ٱلنَّفْسِ أَنْ يَفْتَحَ بَابَ ٱلصُّلْحِ فَقَدْ قَيَّضَ ٱللّٰهُ لَنَا رَجُلًا فَتَحَ بَيْنَنَا بَابَ ٱلْمُصَالَحَةِ وَٱلْمُكَاتَبَةِ وَأَزَالَ بَيْنَنَا تِلْكَ ٱلْعَدَاوَةَ فَكَيْفَ يَكُونُ جَزَآؤُهُ مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ ٱلْإِسَآءَةِ ثُمَّ أَخَذَ ٱلْقَلَمَ وَكَتَبَ عَلَى ظَاهِرِ ٱلْكِتَابِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ سُبْحَانَ ٱللّٰهِ كَيْفَ حَصَلَ لَكَ ٱلشَّكُّ فِي خَطِّي هٰذَا خَطُّ يَدِي وَٱلرَّجُلُ مِنْ أَعَزِّ أَصْحَابِي وَأُرِيدُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ وَتُبْعِدَهُ إِلَيَّ سَرِيعًا فَإِنِّي مُشْتَاقٌ إِلَيْهِ مُحْتَاجٌ إِلَى حُضُورِهِ فَلَمَّا وَصَلَ ٱلْكِتَابُ وَفِي ظَاهِرِهِ خَطُّ ٱلْوَزِيرِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ كَادَ يَطِيرُ مِنَ ٱلْفَرَحِ وَأَحْسَنَ إِلَى ٱلرَّجُلِ غَايَةَ ٱلْإِحْسَانِ وَوَاصَلَهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَتُحَفٍ جَمِيلَةٍ ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ وَهُوَ أَحْسَنُ ٱلنَّاسِ حَالًا فَحَضَرَ إِلَى مَجْلِسِ جَعْفَرٍ وَوَقَعَ يُقَبِّلُ ٱلْأَرْضَ وَيَبْكِي فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ مَنْ أَنْتَ أَخِي فَقَالَ يَا مَوْلَانَا أَنَا عَبْدُكَ وَصَنِيعَتُكَ ٱلْمُزَوِّرُ ٱلْكَذَّابُ ٱلْمُتَجَرِّئُ فَعَرَفَهُ جَعْفَرٌ وَبَشَّ بِهِ وَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَقَالَ لَهُ كَمْ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنْهُ

فَقَالَ

فقال منه ألف دينار فاستقلها جعفر وقال لازمنا حتى نضاعفها لك فلازمه مدة فكسب معه مثلها

وما زالت دولة البرامكة في علو وارتفاع وتزايد حتى انحرفت عنهم الدنيا أمارة تدل على انحراف دولتهم حدث بختيشوع الطبيب قال دخلت يوما على الرشيد وهو جالس في قصر الخلد من مدينة السلام وكان البرامكة يسكنون بحذائه من الجانب الآخر وبينهم وبينه عرض دجلة قال فنظر الرشيد فرأى اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال جزى الله يحيى خيرا تصدى للأمور وأراحني من الكد ووفر أوقاتي على اللذة ثم دخلت إليه بعد أوقات وقد شرع يتغير عليهم فنظر فرأى الخيول كما رآها تلك المرة فقال استبد يحيى بالأمور دوني فالخلافة على الحقيقة له وليس لي منها إلا اسمها قال فعلمت أنه سينكبهم ثم نكبهم عقيب ذلك

شرح السبب في نكبة البرامكة وكيفية الحال في ذلك اختلف أصحاب السير والتواريخ في ذلك فقيل أن

أَنَّ ٱلرَّشِيدَ مَا كَانَ يَصْبِرُ عَنْ أُخْتِهِ عَبَّاسَةَ وَلَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ لَهُ أُزَوِّجُكَهَا حَتَّى يَحِلَّ لَكَ ٱلنَّظَرُ إِلَيْهَا ثُمَّ لَا تَقْرَبْهَا فَكَانَا يَجْتَمِعَانِ وَهُمَا شَابَّانِ ثُمَّ يَقُومُ ٱلرَّشِيدُ عَنْهُمَا وَيَخْلُوَانِ بِأَنْفُسِهِمَا فَجَامَعَهَا جَعْفَرٌ فَحَبِلَتْ مِنْهُ وَوَلَدَتْ وَلَدَيْنِ وَكَتَمَتِ ٱلْأَمْرَ فِي ذٰلِكَ حَتَّى عَلِمَ ٱلرَّشِيدُ فَكَانَ ذٰلِكَ سَبَبَ نَكْبَةِ ٱلْبَرَامِكَةِ وَقِيلَ كَانَ سَبَبُ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ كَلَّفَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى قَتْلَ رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ فَتَحَرَّجَ جَعْفَرٌ مِنْ ذٰلِكَ وَأَطْلَقَ ٱلطَّالِبِيَّ وَسُعِيَ إِلَى ٱلرَّشِيدِ بِجَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ مَا فَعَلَ ٱلطَّالِبِيُّ قَالَ هُوَ فِي ٱلْحَبْسِ قَالَ ٱلرَّشِيدُ بِحَيَاتِي فَفَطِنَ جَعْفَرٌ فَقَالَ لَا وَحَيَاتِكَ وَلٰكِنْ أَطْلَقْتُهُ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مَكْرُوهٌ فَقَالَ لَهُ ٱلرَّشِيدُ نِعْمَ مَا فَعَلْتَ فَلَمَّا قَامَ جَعْفَرٌ قَالَ ٱلرَّشِيدُ قَتَلَنِي ٱللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ ثُمَّ نَكَبَهُمْ وَقِيلَ أَنَّ أَعْدَآءَ ٱلْبَرَامِكَةِ مِثْلَ ٱلْفَضْلِ بْنِ ٱلرَّبِيعِ مَا زَالُوا يَسْعَوْنَ بِهِمْ إِلَى ٱلرَّشِيدِ وَيَذْكُرُونَ لَهُ ٱسْتِبْدَادَهُمْ بِٱلْمُلْكِ وَٱحْتِجَانَهُمْ لِلْأَمْوَالِ حَتَّى أَوْغَرُوا صَدْرَهُ فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَقِيلَ أَنَّ جَعْفَرًا وَٱلْفَضْلَ

آبَىْ يَحْيَى ظَهَرَ مِنْهُمَا مِنَ ٱلْإِدْلَالِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ نُفُوسُ ٱلْمُلُوكِ فَنَكَبَهُمْ لِذَٰلِكَ وَقِيلَ أَنَّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ رُئِيَ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَطُوفُ حَوْلَ ٱلْبَيْتِ وَيَقُولُ ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِضَاكَ فِي أَنْ تَسْلُبَنِي نِعْمَتَكَ عِنْدِي وَتَسْلُبَنِي أَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي فَٱسْلُبْنِي إِلَّا ٱلْفَضْلَ وَلَدِي ثُمَّ وَلَّى فَلَمَّا مَشَى قَلِيلًا عَادَ وَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّهُ سَمِجٌ بِمِثْلِي أَنْ يَسْتَثْنِيَ عَلَيْكَ ٱللَّهُمَّ وَٱلْفَضْلَ فَنَكَبَهُمُ ٱلرَّشِيدُ بَعْدَ قَلِيلٍ شَرْحُ مَقْتَلِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَٱلْقَبْضِ عَلَى أَهْلِهِ كَانَ ٱلرَّشِيدُ قَدْ حَجَّ فَلَمَّا عَادَ مِنَ ٱلْحَجِّ سَارَ مِنَ ٱلْحِيرَةِ إِلَى ٱلْأَنْبَارِ فِي ٱلسُّفُنِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ وَرَكِبَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى ٱلصَّيْدِ وَجَعَلَ يَشْرَبُ تَارَةً وَيَلْهُو أُخْرَى وَتُحَفُ ٱلرَّشِيدِ وَهَدَايَاهُ تَأْتِيهِ وَعِنْدَهُ بَخْتَيشُوعُ ٱلطَّبِيبُ وَأَبُو زَكَّارٍ ٱلْأَعْمَى يُغَنِّيهِ فَلَمَّا أَظَلَّ ٱلْمَسَاءُ دَعَا ٱلرَّشِيدُ مَسْرُورًا ٱلْخَادِمَ وَكَانَ مُبْغِضًا لِجَعْفَرٍ وَقَالَ ٱذْهَبْ فَجِئْنِي بِرَأْسِ جَعْفَرٍ وَلَا تُرَاجِعْنِي فَوَافَاهُ مَسْرُورٌ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَهَجَمَ عَلَيْهِ وَأَبُو زَكَّارٍ يُغَنِّيهِ

فَلَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتًى سَيَأْتِي عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي

فَلَمَّا

فَلَمَّا دَخَلَ مَسْرُورٌ قَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لَقَدْ سَرَرْتَنِي بِمَجِيئِكَ وَسُؤْتَنِي بِدُخُولِكَ عَلَيَّ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَقَالَ ٱلَّذِي جِئْتُ بِهِ أَعْظَمُ أَجِبْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يُرِيدُ بِكَ فَوَقَعَ عَلَى رِجْلَيْهِ فَقَبَّلَهُمَا وَقَالَ لَهُ عَاوِدْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ ٱلشَّرَابَ قَدْ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ دَعْنِي أَدْخُلْ دَارِي فَأُوصِي فَقَالَ ٱلدُّخُولُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ وَأَمَّا ٱلْوَصِيَّةُ فَأَوْصِ بِمَا بَدَا لَكَ فَأَوْصَى ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِ ٱلرَّشِيدِ وَعَدَلَ بِهِ إِلَى قُبَّةٍ وَضَرَبَ عُنُقَهُ وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى تُرْسٍ إِلَى ٱلرَّشِيدِ وَبِبَدَنِهِ فِي نَطْعٍ وَوَجَّهَ ٱلرَّشِيدُ فَقَبَضَ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَحَبَسَهُمْ بِٱلرَّقَّةِ وَٱسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُمْ وَمِنْ غَرِيبِ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ٱلعُمْرَانِيُّ ٱلْمُؤَرِّخُ قَالَ حَدَّثَ فُلَانٌ قَالَ دَخَلْتُ ٱلدِّيوَانَ فَنَظَرْتُ فِي بَعْضِ تَذَاكِرِ ٱلثَّوَابِ فَرَأَيْتُ فِيهَا أَرْبَعَ مِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ثَمَنَ خِلْعَةٍ لِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ٱلْوَزِيرِ ثُمَّ دَخَلْتُ بَعْدَ أَيَّامٍ فَرَأَيْتُ تَحْتَ ذَلِكَ عَشَرَةَ قَرَارِيطَ ثَمَنَ نَفْطٍ وَبَوَارِي لِإِحْرَاقِ جُثَّةِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ ٱسْتَوْزَرَ ٱلرَّشِيدُ بَعْدَ ٱلْبَرَامِكَةِ ٱلْفَضْلَ

ٱبْنَ ٱلرَّبِيعِ وَكَانَ حَاجِبَهُ وِزَارَةُ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ ٱلْفَضْلِ
ٱبْنِ ٱلرَّبِيعِ قَدْ مَضَى ذِكْرُ أَبِيهِ وَأَمَّا ٱلْفَضْلُ فَكَانَ
حَاجِبًا لِلْمَنْصُورِ وَٱلْمَهْدِيِّ وَٱلْهَادِي وَٱلرَّشِيدِ فَلَمَّا
نَكَبَ ٱلرَّشِيدُ ٱلْبَرَامِكَةَ ٱسْتَوْزَرَهُ بَعْدَهُمْ كَانَ ٱلْفَضْلُ
ٱبْنُ ٱلرَّبِيعِ شَهْمًا خَبِيرًا بِأَحْوَالِ ٱلْمُلُوكِ وَآدَابِهِمْ وَلَمَّا
وَلِيَ ٱلْوِزَارَةَ نَهَضَ بِٱلْأَدَبِ وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلَ ٱلْعِلْمِ فَحَصَّلَ
مِنْهُ مَا أَرَادَ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ وَكَانَ أَبُو نُوَاسٍ مِنْ شُعَرَائِهِ
ٱلْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ فَمِنْ شِعْرِهِ فِي آلِ ٱلرَّبِيعِ

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا ٱصْطَرَمَ ٱلْوَغَا

وَٱلْفَضْلُ فَضْلٌ وَٱلرَّبِيعُ رَبِيعُ

وَمَا زَالَ ٱلْفَضْلُ بْنُ ٱلرَّبِيعِ عَلَى وِزَارَتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ
ٱلرَّشِيدُ بِطُوسَ فَجَمَعَ ٱلْفَضْلُ ٱلْعَسْكَرَ وَمَا فِيهِ وَرَجَعَ
إِلَى بَغْدَادَ ٱنْتَهَى ذِكْرُ خِلَافَةِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ

ذِكْرُ خِلَافَةِ ابى احمدَ عبدِ الله
المُسْتَعْصِم بالله

بويع له بالخلافة فى سنةِ اربعين وستمائةٍ هو آخِرُ الخلفاء
كان

كان المُستعصِم رَجُلا خيّرا متديّنا ليّنَ الجانب سَهْل العريكة عفيفَ اللّسان والفَرْج حَمَلَ كتاب الله تعالى وكَتَبَ خَطّا مليحا وكان سهلَ الاخلاق وكان خفيفَ الوَطْأة الّا انه كان مستَضْعَفَ الرأى ضعيف البَطْش قليل الخِبْرة بامور المملكة مطموعا فيه غيرَ مَهيب فى النفوس ولا مُطّلِع على حقائق الامور وكان زمانُه يَنْقَضِى اكثرُهُ بسَماع الاغانى والتفرُّج على المساخِرة وفى بعض الاوقات يجلِس بخِزانه الكُتُب جُلوسا ليس فيه كبيرُ فائِدةٍ وكان اصحابُه مستولين عليه وكلّهم جُهّالٌ من ارادلِ العَوامّ الّا وزيرَه مُؤيّدَ الدّينِ محمّدَ بن العَلْقَمِيّ فانه كان من أعْيان الناس وعُقلاء الرّجال وكان مكفوفَ اليدِ مردود القول يترقّبُ العَزْلَ والقبضَ صَباحَ مَساءَ وكانت عادةُ الخُلفاء اكثرِهم ان يَحْبِسوا اولادَهم واقاربَهم وبذلك جَرَتْ سُنّتُهم الى آخر ايّام المُسْتَنْصِر فلمّا ولى المستعصم اطلق اولاده الثلاثة ولم يَحبِسْهم وهم الامير الكبير ابو العبّاسِ احمدُ والعامّة تسمّيه ابا بكر ليس بصحيح وانّما سمّوْه بذلك لانّه

لمّا

لمّا نُهِب الكَرْخُ نُسِبَ الامرُ فى ذلك اليه وقيل انّه
هو الذى اشار بذلك والامير الأَوْسَط وهو ابو الفضائِل
عبد الرحمان كان شَهْما خرج الى بين يَدَيِ السلطان
هُولَاكُو ووقع كلامه بِمَوْضِعِ الاستحسان فى الحَضْرة
السلطانيه والامير الاصغر ابو المناقِب

حدّثنى صَفِيّ الدين عبد المؤمِن بْنُ فاخِرٍ الأُرْمَوِيُّ
وكان قد صار فى آخِرِ ايّام المستعصم مُقَرَّبا عنده ومن
خواصّه وكان قَدِ استجدّ فى آخِرِ ايّامه خِزَانة كُتُب
ونقل اليها من نفائس الكتب وسَلَّمَ مَفَاتِيحَها الى عبد
المؤمن فصار عبدُ المؤمن يجلس بِبَاب الخزانة يَفْتَحُ
له ما يُريد وإذا حَضَر الخليفه للجُلوسُ فى خزانة الكتب
جآء اليها وعَدَل عنِ الخِزانه الأُولى التى كانت مُسَلَّمَةً
الى الشيخ صَدْر الدين علىّ بن النَّيَّار قال أَعْنِي عبدَ
المؤمن كنتُ مرّة جالِسا فى حُجْرَة صغيرة وانا انسخ
وهُناكَ مَرْتَبةٌ بِرَسْم الخليفه اذا جآء الى هُناكَ جلَس
عليها وقد بُسِطَ عليها مَلحَفه لِيرُدَّ عنها الغُبارَ فجآء
خُوَنْدِم صغير ونام قريبا من المدرسه المذكورة

واستَغْرق

واستَغْرق فى النّوْم فتقلّب حتىّ تلفّف فى تلك الملحَفه المبسوطة على المرتبة ثمّ تقلّب حتى صارت رِجْلاه على المَسْنَد قال وانا مشغول بالنبّخ فأحْسَسْتُ بوطْئ فى الدِّهْليز فنظرتُ فاذا هو الخليفه وهو يَسْتَدعى بالاشارة ويخفّف وَطْأهُ فقمْت اليه مُتَرعجا وقبّلت الارض فقال لى هذا الخويدم الذى قد نام حتى تلفّف فى هذه الملحَفة وصارت رِجْلاه على المَسْنَد منى تجمّعت عليه حتى يَسْتَيقِظ ويعلمَ انّى قد شاهَدتُه على هذه الحال يَنْفطِرُ مرارتُه من الخَوْف فانْتَبِهْه انت برفق فانّى سأخرُج الى البُسْتان ثمّ اعود قال وخرج الخليفه فدخلتُ الى الخويدم وأنْقَظْتُه فَآنْتَبَهَ ثمّ اصلَحْنا المرتبه ثمّ دخل الخليفة وحدّثنى بعض اهل بغداد حُدِّثْتُ انّ الشيخ صدرَ الدين بن التيّار شيخ الخليفه قال دخلتُ مرّة الى خزانة الكتب على عادتى وفى كُمّى مِنْديل فيه رِقاع كثيرة لجَماعةٍ من ارباب الحوائج فطرَحْتُ المنديل وفيه الرِقاعُ فى مَوْضعٍ ثم قُمْتُ لبعض شأنى فلمّا عُدتُ الى الخزانه بعد ساعة حلَلْتُ الرقاع من المنديل

المنديل حتى أَتَأَمَّلَها وأُقَدِّمَ منها المُهِمَّ فرأسها جميعها وعلمها توقيعُ الخليفة بالإجابة الى جميع ما فيها فعلمت انّ الخليفةَ قد جاء الى الخزانة عند قيامى فرأى المنديل وفيه الرقاعُ ففتحها ووقّع على جميعها والمستعصم هو آخِر خلفاء الدولة العبّاسيّة ببغداد ولم يَجْرِ فى ايّام المستعصم شئ يُؤثِرُ سِوَى نَهْبِ الكَرْخ وبِئْسَ الأَثَرُ ذلك وفى آخِر ايّامه قَوِيَتِ الأراجيفُ بِوُصول عَسْكَر المُغُولِ صُحْبَةَ السلطان هولاكو فلم يحرِّك ذلك منه عَزْما ولا نَبّهَ منه هِمّةً ولا أَحْدَثَ عنده هَمّا وكان كلّما سُمِع عن السلطان من الإِحْتِياط والاستعداد شئ ظَهَر من الخليفة نقيضُه من التفريط والإِهْمال ولم يَكُنْ يتصوّرُ حقيقة الحال فى ذلك ولا يَعْرِفُ هذه الدَّوْلَةَ يَسَّرَ الله إحسانَها وأَعْلَى شأنَها حَقَّ المَعْرِفَةِ وكان وزيرُه مؤيّد الدين بن العلقميّ يعرِف حقيقة الحال فى ذلك ويكاتِبُه بالتحذير والتنبيه ويُشير عليه بالتَّيَقُّظِ والاستعداد وهو لا يزداد الا غُفُولا وكان خواصُّه يُوهِمونه انّه ليس فى هذا كبيرُ خَطَرٍ ولا هُناك محذورٌ وان

وان الوزيرَ انّما يعظِّمُ هذا لِيَنْفِقَ سُوقُهُ وليَبْرُزَ المه الأموال لِيُجَنِّدَ بها العساكرَ فيَقْتَطِعُ منها لنفسه وما زالت عَقْلهُ للخليفة تَمْى وبَقْظَه الجانب الآخَرِ تتضاعف حتّى وصل العسكر السلطانىّ الى هَمَدَانَ واقام بها مُدَّةً ثمّ توادرَتِ الرُّسُلُ السلطانيّة الى الديوان المستعصِمِيّ فوقع التعْيِينُ من ديوان الخليفة على ولدِ أُسْتَاذِ الدار وهو شَرَف الدين عبدُ الله بن الجوزِىّ فبُعِثَ رسولا الى خِدْمة الدَّرْكَاهِ السلطانيّة بِهَمَدَانَ فلمّا وصل وسُمِع جَوابُه عُلِم انّه جوابُ مُغالَطة ومدافعة فحينئذٍ وقع الشُّروعُ فى قصدِ بَغْدادَ وبَثِّ العساكرِ اليها فتوجّهَ عسكرٌ كثيف من المغول والمقدّمُ عليهم بَاجُو الى تِكْرِيتَ ليعبُروا من هُناك الى الجانب الغَرْبىّ ويَقْصِدون بغداد من غربيّها ويَقْصِدُها العسكر السلطانىّ من شَرْقيّها فلما عبر عسكر باجو من تكريت وانحدَر الى اعمال بغداد أجْفَل الناس من دُجَيْل والإسْحَاقِىّ ونَهْر مَلِكٍ ونَهْرِ عِيسَى ودخلوا الى المدينة بنسائهم واولادهم حتى كان الرّجُل اوِ المَرْأة يَقْذِفُ

بنفسه

بنفسه فى المآء وكان الملّاح اذا عَبّر احدا فى سفينةٍ
من جانِب الى جانِب يأخُذ أُجْرَته سِوارًا من ذَهَب
او طِرازًا من زَرْكَش او عِدّةً من الدنانير فلما وصل
العسكر السلطانىّ الى دُجَيْلَ وهو يَزِيدُ على ثلاثين
الفَ فارسٍ خرج اليه عسكر الخليفة صُحْبَةَ مُقَدَّمِ
الجُيُوش مُجاهِدِ الدين إِيْبَك الدَّوِيدَار وكان عسكرًا فى
غاية القِلّة فالتقوا بالجانب الغَرْبىّ من بغداد قريبا من
البَلَد فكانتِ الغَلَبةُ فى أوّل الامر لعسكر الخليفه ثُمّ
كانت الكَرّة للعسكر السلطانىّ فابادوهم قَتْلا وأَسْرا
وأعانَهم على ذلك نَهرٌ فَتَحوه فى طُول الليل فكثُرت
الوحولُ فى طريق المُنْهَزِمِينَ فلم يَنْجُ منهم الّا من رمى
نفسه فى المآء او من دخَل البرّية ومضى على وَجْهه
الى الشام ونجا الدويدار فى جُمَيْعَةٍ من عسكره ووصل
الى بغداد وساق ناجو حتى دخل البَلد من جانبه
الغربىّ ووقف بعساكره مُحَاذِىَ التَاجِ وجانب
عساكرُهُ خلالَ الديار واقام مُحَاذِىَ التاج ايّاما وامّا
حالُ العسكر السلطانىّ فانّه فى يوم الخميس رابعَ محرَّمٍ

من

من سنة سِتّ وخمسين وستمائة ثارت غبرة عظيمة شرقي بغداد على درب يعقوب بحيث عمّت البلد فانزعج الناس من ذلك وصعدوا الى اعالي السطوح والمنائر ينظرون فانكشفت الغبرة عن عساكر السلطان وخيوله وقبقه وكُراعه وقد طبّق وجه الارض واحاط ببغداد من جميع جهاتها ثمّ شرعوا في استعمال اسباب الحصار وشرع العسكر الخليفيّ في المدافعة والمقاومة الى يوم تاسع عشري محرّم فلم يشعر الناس الّا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من برج يسمّى برج العجميّ من ناحية باب من ابواب بغداد يقال له باب كلواذي وكان هذا البرج اقصر ابراج السور وتقحّم العسكر السلطاني هجوما ودخولا فجرى من القتل الذريع والنهب العظيم والتهتك البليغ ما يعظم سماعه جملة فما الظنّ بتفاصيله وكان ما كان ممّا لستُ اذكره فظنّ ظنّا ولا تسأل عن الخبر وامر السلطان بخروج الخليفة وولده ونسائه اليه فخرجوا فحضر الخليفة بين يدي الدركاه فيقال انّه عوتب ووبّخ بما معناه بِسَبَه العجز والتفريط والغفول

البله

البه ثم أُوصِل الى الباسا وولداه الاكبر والاوسط واما بناته فأسِرن ثم آستشهد المستعصم فى رابع صفر سنة سِتّ وخمسين وسِتّمِائةٍ انتهى ذكر خلافة المستعصم بالله

فصل فى الحقوق الواجبة للملك على رعيّته وهو منقول من الفصل الاوّل من كتاب الفخرى فى الآداب السلطانيّة يتكلّم فيه على الامور السلطانيّة والسِّياسات المَلكيّة وخواصّ المَلك التى يمتازُ بها عن السُّوقة والتى تجب ان تكونَ موجودةً او معدومةً فيه وعلى ما يجب له على رعيّته وما يجب لهم عليه

آعْلَمْ انّ للملك على رعيّته حقوقا وان لهم عليه حقوقا فامّا الحقوقُ التى تجبُ للملك على رعيّته فمنها الطاعةُ وهى الأصل الذى ينتظِمُ به صَلاحُ الجُمْهُور ويتمكّن به الملكُ من الإنصاف للضعيف من القوىّ والقِسْمَةِ بالحقّ ومّما جاء فى التنزيل من الحثّ على ذلك وهى الآية المشهورة فى هذا المعنى قوله تعالى يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولى

وأُولِى الأَمْر منكم ومن امثالهم لا إمْرَةَ لمن لا يُطاعُ ولم يُنْقَل فى تاريخ ولا تَضمّنت سيرةٌ من السِّيَر انّ دَوْلةً من الدُّوَل رُزِقت من طاعة جُنْدها ورَعاياها ما رُزِقَتْه هذه الدولةُ القاهرة المعولية فإنّ طاعةَ جُندها ورعاياها لها طاعةٌ لم تُرْزَقْها دولةٌ من الدول فامّا الدولةُ الكسْرويّة فإنّها على عِظَمها وحَامنها لم تبلُغْ ذلك وقد كان النُّعْمان ابن المُنْذِرِ مَلِكُ الحِيرة نائبا لكِسْرَى على العَرَب وبين الحيرة والمدائِنِ التى كانت سَريرَ مُلْك الأكاسرة فراسخُ معدودةٌ والنُّعمان فى كلِّ ايّام قد عصا على كِسْرَى واذا حضَر مجلِسَه نبسّط وجرّأ على مُحاوَبته وكان متى اراد خلْعَ طاعتِه دخل البَرِّيّةَ فامِن شَرّه وامّا الدُّوَلُ الإسلاميّة فلا نِسْبَةَ لها الى هذه الدولة حتى نَذْكَرَ معها فامّا خِلافةُ الاربعة الأُوَل وهم ابو بكر الصِدّيق وعُمَرُ بن الخطاب وعُثْمانُ بن عفّانَ رَضِى الله عنهم وعلىٌّ ابن ابى طالِبٍ عليه السلَمُ فانّها كانت أشْبَهَ بالرُتَب الدينيّة من الرتب الدُنْيَويّة فى جميع الأشياء كان أحَدُهم يلبَس الثَوْب من الكِرباسِ الغليظ وفى رِجْله نَعْلان

من ليف وحمائلُ سيفه ليفٌ ويمشى فى الأسواق كبعضِ الرعيّة واذا كلّم أدنى الرعيّة أسمعهُ أغلظ من كلامه وكانوا يعُدّون هذا من الدين الذى بُعث به النبى صلواتُ الله عليه وسلامه قيل انّ عُمَرَ بن الخطّاب جاءته برود من اليمن ففرّقها على المسلمين فحصل نصيبُ كل رَجُل من المسلمين بُرْدٌ واحد ثمّ حصل نصيبُ عُمَرَ كنصيبِ واحدٍ من المسلمين قيل ففصّله عُمَرُ ثم لبسه وصعِد المِنْبَرَ فامر الناسَ بالجِهاد فقام اليه رَجُل من المسلمين وقال لا سَمْعًا ولا طاعَةً قال لِمَ ذلك قال لِانّك آستأثرت علينا قال عمر بأىّ شىء آستأثرتُ قال إنّ الأبرادَ اليمنيّة لمّا فرّقتها حصل لكلّ واحدٍ من المسلمين بُرْدٌ منها وكذلك حصل لك والبرد الواحد لا يكفيك ثوبًا ونراك قد فصّلته قميصا تامًّا وانت رجُل طويل فلو لم تكُنْ قد أخذتَ اكثرَ منه لمَا جاءك منه قميص فالتفت عمرُ الى ابنه عبد الله وقال يا عبدَ الله أجِبْهُ عن كلامه فقام عبد الله بن عمرَ وقال إنّ امير المؤمنين عمرَ لمّا اراد ان يُفصّل بُردِه لم يَكفِه فناولته

فناولته من بردى ما تمه به فقال الرجل امّا الآن فالسمع والطاعة وهذه السّير لبست من طرز ملوك الدنيا وهى بالنّسّاب والامور الأخروية أشبه وامّا خلافة بنى أميّة فكانت قد عظمت وتمّ امرها وعرضت مملكتها ولكنّ طاعتهم لم تكن كطاعة هاؤلاء كان بنو اميّة فى الشام وكان بنو هاشم بالمدينة لا يلتفتون اليهم واذا دخل الرجل الهاشمى على الخليفة من بنى أُميّة أسمعه غليظ الكلام وقال له كلّ قول

وامّا الدولة العبّاسيّة فلم تبلغ طاعة الناس لها ما بلغت هذه الدولة مع أنّ مدّتها طالت حتى تجاوزت خمس مئة سنة ومملكتها عرضت حتّى أنّ بعضهم جبى معظم الدنيا وسيقع الإشارة الى ذلك عند الكلام على دولة بنى العبّاس وحاصل الدّنيا فى ايّام الرشيد فى حسنة جامعة تشمل عليها كتب التواريخ يدلّ على ذلك فامّا أوائلهم حَمَوْا شطرا صالحا من الدنيا وقويت شوكتهم كالمنصور والمهدىّ والرشيد والمأمون والمعتصم والمعتضد والمتوكّل ومع ذلك فلم تكن دولتهم

تخلو

تَخْلُو مِن ضَعْف ووَهْن من عِدّةِ جِهاتٍ منها آمتناعُ الروم
عليهم وقِيامُ الحَرب بينهم وبين ملوكها النّصارَى فى كلّ
سنة على ساقٍ ومع ذلك فكانت جِبايتُها تَسْتَصْعِبُ
عليهم وملوكها لا يَزالون على الامتناع منهم وقد كان من
أمْر المُعْتصم وعَمّوريّةَ ما بلَغك ولعلّ طَرفًا منه يَبْلُغُك
فى هذا الكتاب عند الكلام فى الدولة العبّاسيّة ومن
اسباب الوهن الواقع فى دَولتهم خُروجُ الخَوارج فى كل
وقت فامّا المنصور فلم يشرَب رِيقًا حُلوا من ذلك خرج
عليه النّفْسُ الزكيّةُ محمّدُ بن عبد الله بن حسن
بن الحَسَن بن علىّ بن ابى طالبٍ عليهم السلم بالحِجازِ
فجَرَتْ بينه وبينه حُروبٌ أفْضَتْ الى إرسال عِيسَى بن
موسى بن محمّدِ بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس الى
الحجاز لِمُحارَبة النفس الزكيّة فقتلَه بمَوْضِع قريبٍ
من المدينة يُقال له أحْجارُ الزَيْتِ وذلك فى سنةِ كذا
ولذلك سُمّى النفس الزكيّة قتيلَ احجارِ الزيتِ وخرج
عليه اخو النفس الزكيّة وهو ابراهيم بن عبد الله
بالبَصْرَةِ فقلِق المنصورُ لذلك غايةَ القَلَق وقام وقعد

حتى توجّه اليه عيسى بن موسى فقتله بقرية قريبة من الكوفة يُقال لها باخمْرى فهو يُعرَف بقتيل باخمرى رحمه الله ومن هاهنا حقد المنصورُ على العلويّين وفعل بهم تلك الافاعيل ولعلّ طرفا منها يتّفق في هذا الباب اذا انتهيْتُ الى الكلام على الدولة العبّاسيّة وكذلك جرى امرُ الخوارج مع خليفة خليفة حتى كان الرعيّةُ لا يأمنون في بيوتهم آمنين ولا يزالون يتوقّعون الفتنة والحرب كما كان أهلُ قزوين في مجاورة قلاع المَلاحِدة . حدّثني الملك إمام الدين يحيى بن الإفتخاريّ رحمه الله قال اذكُرُ ونحن بقزوين اذا جاء الليلُ جعَلْنا جميع ما لنا من أثاث وقماش ورحل في سراديبَ لنا في دُورنا غامضة خفيّة ولا نترُكُ على وجه الارض شيئا خوفا من كبسات الملاحدة فاذا أصبحنا اخرَجْنا اقمشتنا فاذا جاء الليل فعلنا كذلك ولاجل ذلك كثُر حَمْلُ القزاوينةِ السكاكين وكثر حملهم للسلاح وما زال الملاحدةُ على ذلك حتى كان من أمر شمس الدين قاضي قزوينَ وتوجّهِه الى قآن واحضار العسكر وتخريب

وتخريب قلاع الملاحدة ما كان وليس هذا الموضع موضع استيفاء الكلام فى هذا فانه اعترض وليس بمقصود وكما جرى للموفّق بن المتوكّل فى مرابطة الزنج اربع عشرة سنة ما زال بمصابرهم من البصرة وواسط طول هذه المدّة حتى افناهم وكان لطول المدّة قد ابتنى الزنج هناك مدائن وابتنى الموفّق أيضًا هناك مدائن ثمّ خربت وآثارها الآن باقية وأمّا اواخرهم أعنى اواخر خلفاء بنى العبّاس فضعفوا غاية الضعف حتى غصّت تكريت عليهم وفى ذلك يقول شاعرهم

فى العسكر المنصور نحن عصابة
من دولة أخسِس بنا من معشر
خذ عقلنا من عقدنا ممّا نرى
من خسّة ورقاعة وتهوّر
تكريت تعجزنا ونحن بعقلنا
نمضى لنأخذ نرمدًا من سنجر

وكانوا أعنى المتأخّرين من خلفاء بنى العبّاس قد اقتصروا فى آخر الأمر على مملكة العراق فحسب حتى أنّ

أنّ آرْبِل لم تكن فى حُكْمهم وما زالت خارجة عن حكمهم الى ان مات مُظَفّرُ الدين بن زين الدين علىّ كُوجَك صاحبُ اربل وذلك فى ايّام المستنصر فعنّ على إقبال الشرابىّ وكان مُقدَّمَ الجُيوش ان يتوجّه الى اربل لفتحها وجهّزه بالعساكر فتوجّه الشرابىّ اليها واقام عليها ايّاما مُحاصِرا ثمّ فتحها فضربت البشائر ببغداد يومَ وُصُولِ الطائرِ بفتحها فأمر الى دولة تُضربُ البشائرُ على ابواب صاحبها ويُزيَّنُ البلد الأجل مثلِ فلعله اربلَ الّتى هى اليومَ فى هذه الدولة من أحقر الأعمال واصغرها واهوَنِها على قد كان ملوكُ الاطراف مثل ملوك الشام ومِصْرَ وصاحبِ المَوْصِل يحملون اليهم فى كل سنة شيئا على سبيل الهَدِيّة والمُتابَعة ويطلبون منهم تقليدا بوِلاية بِلادهم حتّى يتسلّطون بذلك على رعيتهم ويُوجِبون عليهم طاعتَهم بذلك السبب ولعل الخُلفآءَ قد كانوا يُعوِّضون ملوكَ الاطراف عن هداياهم بما يناسِبُها او يَفْضِل عنها كلّ ذلك لحفظ الناموس الظاهر وليكونَ لهم فى البلاد والاطراف السِكّةُ والخُطْبَة حتى صار

صار يُضْرَبُ مَثَلًا لِمن له ظاهرُ الأمر وليس من باطنه شيء
أن يُقالَ قَنِعَ فُلانٌ من الامر الفُلان بالسِّكّة والخُطبه
يَعْنى قنِع منه بالاسم دُونَ الحقيقة فهذه جُمَل من احوال
الدَّولة العبّاسيّة وامّا الدولتان البُوَيْهِيَّةُ والسَّلجُوقيّةُ
فلم تعرُض مَمْلكتُهما مع قُوّة شَوْكةِ ملوكهما كعَضد
الدولة فى بنى بُوَيْه وطُغْرِلْبَك فى بنى سلجوق ولم تَعُمَّ
طاعتُهما ولم يَسمل ملكُهما وامّا الدولةُ الخُوارَزْمشاهيّة
مع انّ جَريدةَ السلطان جلال الدين اشتملت على
اربعِ مِئةِ الفِ مُقاتِل فلم يَعْرُضْ ملكُها ايضًا ولا تجاوزَتِ
النَّواحِيَ القريبه منها بلى جلال الدين غزا اطراف الهِنْد ۞

انتهى المنقول من كتاب الفخرى فى الآداب
السلطانيه والدول الاسلاميه

من كتاب

المَواعِظِ والإعْتِبار فى ذِكْرِ الخِطَطِ والآثار

لِتَقِىّ الدِّينِ المَقْرِيزِىّ

ذكر خلافة الحاكم بامر الله

الحاكِمُ بِأَمْرِ اللهِ ابو علىّ منصورُ بن العزيزِ نِزارَ بن المُعِزّ لِدين الله ابى تميمٍ مَعَدٍّ وُلِد بالقَصْرِ من القاهِرةِ المُعِزّيّة ليلة الخميس الثالثِ والعشرين من شَهْرِ ربيعِ الأوّل سنةَ خَمْسٍ وسبعين وثَلَثِمِأيةٍ فى الساعة التاسعة والطالِعُ من بُرْج السَّرْطانِ سبعٌ وعشرون دَرَجَةً وسُلّم عليه بالخلافة فى مدينة بِلْبَيْسَ بَعْدَ الظُّهْرِ من يوم الثُلاثاء ثامنٍ وعشرين شهر رمضانَ سنةَ سِتٍّ وثمانين وثلثمأية وسار الى القاهرة فى يوم الأَرْبِعآء بِسائرِ أَهْلِ الدولة والعزيزُ فى قُبّة على ناقة بَيْنَ يدَيْه وعلى الحاكم دُرّاعةٌ مُصْمَتٍ وعِمامةٌ فيها الجَوْهر وبِيَدِهِ رُمْحٌ وقد نَقلّد

تـقلّد السّيْف ولم يَفْقِدْ من جميع ما كان مع العساكر شئٌ ودخل القصر قبْلَ صلوة المَغْرب واحد فى جِهاز ابيه العزيز بالله ودَفنَه ثم بكر سائرُ اهلِ الدولة الى القصر يَوْمَ الخميس وقد نُصِب للحاكم سريرٌ من ذَهب عليه مَرْتَبةٌ مُذَهَّبَة فى الإيوانِ الكبير وخرج من قصره راكبًا وعليه مُعَمَّمَةٌ الجوهر والناسُ وُقوف فى صَحْن الايوان فقبّلوا له الارض ومَشَوْا بين يَدَيْه حتى جلَس على السرير فوقَف مَن رَسْمُه الوُقُوفُ وجلَس من له عادةٌ ان يجلِسَ وسلّم الجميعُ عليه بالإمامة واللَّقبِ الذى اختير له وهو الحاكمُ بامر الله وكان سِنُّه يَوْمَئِذٍ احدى عشَرَ سَنَةً وخمسةَ أَشْهُرٍ وسِتّةَ ايّامٍ فجعل ابا محمّدٍ الحَسَنَ بن عَمّارٍ الكَنامىّ واسِطَةً ولَقَّبَهُ بامين الدولة وأَسْقط مُكُوسا كانت بالساحِل ورَدَّ الى الحُسَيْنِ بن جَوْهر القائد البَرِيدَ والإنشآء فكان يَخْلُفه ابنُ سُورينَ واقرّ عيسى بن نَسْطورُس على ديوان الخاصّ وقلّد سُلَيمانَ ابن جَعْفَرِ بن فَلاح الشامَ فخرج بَنْجوتكينُ بدِمَشْقَ وسار منها لمُدَافَعة سليمانَ بنِ جعفرِ بن فلاح فبلغ الرَّمْلة

الرَّمْلة وآنْضَمّ اليه ابن الجرّاح الطّائىّ فى كثيرٍ من العربِ ووافع ابنَ فلاح فآنهزم وفرّ ثمّ أُسِرَ وحمِل الى القاهرة فَأُكرِمَ واختلف اهلُ الدولة على ابنِ عمّارٍ ووقعتْ حُرُوب آلتْ الى صَرْفه عن الوَساطة وله فى النّظر احدَ عَشَرَ شهرًا عَبْرَ خمسةِ ايّامٍ فلَزِمِ دارَه وأُطْلِقَتْ له رُسوم وجَرايات وأُقيم الطّواشى بَرْجَوانُ الصَقْلبىّ مكانَه فى الوَساطة لِثلاثٍ بَقِين من رَمَضانَ سنةَ سبعٍ وثمانين وثلمايةٍ فجعَل كاتبَه فَهْدَ بن ابراهيمَ يُوقِّع عنه ولقّبه بالرَّئيس وصَرَف سلمان بن فلاح عن الشام بجَيْش بن الصَّمْصامَة وقلّد محّل بن اسماعيلَ الكَتامىّ مدينةَ صُورَ وقلّد مانسَ الخادِم بَرْقَةَ ومَنْسورَ الخادم طَرابُلُسَ ويمن الخادم غزّةَ وعَسْقَلانَ فوافع جَيْشُ الرومَ على فامِيَةَ وقتل منهم خمسةَ آلافِ رَجُلٍ وغزا الى ان دخل مَرْعَش وقلّد وظيفةَ قضاءَ القُضاةِ ابا عبد الله الحُسَيْن بن علىّ ابن النّعمان فى صَفَرٍ سنةَ تِسْع وثمانين بعدَ موتِ قاضى القُضاةِ محمّد بن النُّعْمان وقتل الأُسْتاد بَرْجَوان لاربعٍ بَقِينَ من رَبيع الآخِر سنةَ تِسع وثمانين وثلمايةٍ وله

فى

فى النظر سنتان وثمانيةُ اشهرٍ عشر يومٍ واحدٍ وردّ
السطر فى امور الناس وتدبيرِ المملكة والتوقيعات
الى الحسن بن جوهر ولُقِّب بقائدِ القُوّادِ وخلعه
الرئيسُ فهدٌ واتخذ الحاكمُ مجلسا فى الليل يحضرُ فيه
عِدّةٌ من أعيان الدولة ثم ابطله   ومات جيشُ بن
الصمصامة فى ربيع الآخر سنةَ تسعين وثلثمائةٍ فوصل
ابنُه بتركته الى القاهرة ومعه دَرْجٌ بخطّ ابيه فيه
وصيّته وثبتٌ بما خلّفهُ مُفصَّلًا وأنّ ذلك جميعه لأمير
المومنين الحاكم بامر الله لا يستحقّ احدٌ من اولاده
منه درهما وكان مبلغُ ذلك جميعِهِ نحوَ المائتيْ الفِ دينار
ما بين عَيْنٍ ومتاعٍ ودوابّ قد أُوقِفَ جميعَ ذلك تحتَ
القصر فأخذ الحاكم الدَّرْج ونظره ثم أعاده الى اولاد
جيشٍ وخلَعَ عليهم وقال لهم بحضرة وُجوه الدولة قد
وَقفْتُ على وَصيّة ابيكم رَحِمَه الله وما وَصّى به من عين
ومتاع فخُذُوه هنيئًا مُباركًا لكُمْ فيه فانصرفوا بجميع
التركة   ووُلّى دِمَشقَ فحل بن تميم ومات بعد شهور
فولّى علىّ بن فلاح وردّ النظر فى المظالم لعبد العزيز
ابن

ابن محمّد بن النعمان ومنع الناس كافّةً من مُخاطبته أحَدُ
ومُكاتبته بِسيّدنا ومَوْلانا الّا امير المومنين وَحدَه وأُبيح
دَمُ من خالَف ذلك وفى شَوّالٍ قُتل ابنَ عمّار وفى سنةِ
إحْدَى وتسعين واصَل الحاكمُ الرُّكوبَ فى الليل
كلّ لَيْلةٍ وكان يَشِقّ الشوارع والازِقّة وبالَغ الناسُ فى
الوَقيد والزِّينة وانفقوا الاموال الكثيرة على المَآكِلِ
والمَشارِب والغِناء واللّهْوِ وكثُر تفرُّجُهم على ذلك حتى
خرجوا فيه عن الحَدِّ فمنَع النِساءَ من الخُروج فى الليل
ثم منع الرِّجالَ من الجُلوس فى الحَوانيت وفى رَمَضانَ
سنةَ آثنتَيْن وتِسْعين قلّد تمواصلت بن بكّار دمَشْقَ
عِوَضًا عن ابن فلاح وآبتدا فى عِمارة جامع رَاشدَة فى
سنة ثلاثٍ وتِسْعين وقتل فَهْدَ بن ابراهيمَ وله مُنْذُ
نَظر فى الرياسة خمسُ سنين وتِسْعةُ اشهُرٍ واثنَى عَشَرَ
يومًا فى ثامِنِ جُمادَى الآخِرةِ منها وأُقيم فى مكانه علىّ بن
عُمَرَ العدّاسُ وسار الاميرُ باروخ لإمارة طَبَرِيّة ووقع
الشُّروع فى إتْمام الجامِع خارِجَ بابِ الفُتوح وقطع الحاكم
الرُّكوبَ فى الليل ومات تمواصلت متولّى دِمَشْق وتولّى

بعده

بعده مُفْلِحُ اللحانى الخادمُ وقتل علىّ بن عُمَرَ العدّاس والأُستاد رَيْدان الصقلبى وعِدّةً كثيرة من الناس وقلّد إمارة برقة صَنْدَلَ الأَسْوَد فى المحرّم سنة اربعٍ وتِسْعين وصَرَف الحسين بن النعمان عن القضآء فى رمضانَ منها وكانت مُدّةُ نَظره فى القضآء خمس سنين وسِتّةَ اشهُر وثلثةَ وعشرين يومًا واليه كانت الدَّعْوَة ايضا فيقال له قاضى القُضاة وداعى الدُّعاة وقلّد عبدَ العزيز بن محمّد بن النعمان وَظيفةَ القضآء والدَّعْوة على ما بِيَدِه من النَّظر فى المَظالم وفى سنةِ خمسٍ وتسعين امَر النصارَى واليهودَ بشَدِّ الزنانير ولَبْسِ الغِيار ومَنَع النـاسَ من أَكْل المُلُوخِيا والجِرْجير والمُتَوَكِّلِيّة والدَّلِينَس وذَبْح الابقارِ السليمة من العاهة إلّا فى ايّام الأَضحِية ومنَع من بَيْعِ الفُقّاع وعَمَلِه ٱلْبَتَّةَ وأن لا يدخُلَ احدٌ الحمّام إلّا بمِئْزَرٍ وان لا تكشِفَ آمراةٌ وَجْهَها فى طريق ولا خَلْفَ جَنازة ولا تَتَبَرَّجَ ولا يُباعَ شىءٌ من السَّمَك بِغَير قِشْر ولا يَصْطاده احد من الصيّادين وتَتَبَّع الناسَ فى ذلك كلّه وتشدّد فيه وضُرِبَ جماعةٌ بسَبَب مُخالَفتِهم ما أُمروا به ونُهوا

عنه ممّا ذُكِر وخرجت العساكرُ لقتال بنى قُرّة من
اهل البُحَيْرة وكُتب على ابواب المساجد وعلى الجامع
بمِصْرَ وعلى أبواب الحوانيت والحُجَر والمقابر سَبّ السَّلَف
ولَعْنَهم وأَكْرَهَ الناسَ على نَقْش ذلك وكتابته بالأَصْباغ
فى سائر المواضع وأقبَل الناسُ من سائر النواحى فدخلوا
فى الدعوة وجُعِل لهم يومانِ فى الأُسْبوع وكثُر الإزْدِحامُ
على ذلك ومات فيه جَمَاعةٌ ومنَع الناس من الخروج بعد
المَغْرِب فى الطُّرُقات وأَنْ لا يَظْهَرَ احد بها لِبَيْعٍ ولا شِرآء
فخَلَتِ الطُّرُق من المارَّة وكُسِرَت اوانى الخُمور وأُريقت
من سائر الأَماكن واشتَدّ خوفُ الناس بِأَسرهم وقَوِيَت
الشَّناعاتُ وزاد الإضطِراب فاجتمَع كثيرٌ من الكُتَّاب وغيرِهم
تحت القصر وضَجُّوا يَسْأَلون العَفْوَ فكُتِبت عِدَّةُ أماناتٍ
لجميع الطوائف من اهل الدولة وغيرهم من الباعة والرعيّة
وامر بقَتْل الكِلاب فقُتِل مِنها ما لا يُحْصَى حتى فُقِدَتْ
وفُتِحَت دارُ الحِكْمة بالقاهرة وحُمِل اليها الكُتُب ودخَل
اليها الناسُ واشتدّ الطَّلَب على الرِّكابيّة المُسْتَخْدَمين
فى الرِّكاب وقَتَل منهم كثيرًا ثم عفا عنهم وكَتَب لهم

أماناتٍ

أماناتٍ ومنع الناسَ كافّةً من الدُّخول من باب القاهرة وهم رُكّاب ومنع المُكارِين أن يدخُلوا بحميرهم الى القاهرة ومنع الناس من المَشْيِ مُلاصِقَ القصرِ وقُتِل قاضى القضاة حُسَيْنُ بن النعمان وأُحْرِق بالنار وقُتل عَدَدٌ من الناس كثيرٌ ضُرِبت أعناقُهم وفى سنةِ ستٍّ وتسعين خرج ابو رَكْوَة يَدْعُو الى نَفْسه وآدَّعَى انه من بنى أُمَيّة فقام بِأَمْره بنو قُرّة لكَثْرَةِ ما أَوْقَع بهم الحاكمُ وبايَعوه وآسْتَجاب لَهُ لَوَاتَهْ ومَزَاتَهْ وزَنَاتَهْ واخذ برقة وهَزَم جُيوشَ الحاكم عَشْرَ مَرّةٍ وغنَم ما معهم فخرج لقتاله القائدُ فَضْلُ بنْ صالِحٍ فى ربيع الأوّل وواقعه فآنْهَزم منه فَضْلٌ واشتدّ الاضطراب بمصرَ وتزايدت الأَسْعار واشتدّ الإسْتِعْداد لِمُحارَبة ابى ركوة ونزلت العساكر بالجيزة وسار ابو ركوة فواقعه القائد فضل وقُتِل عِدّةٌ ممّن معه فعظُم الامرُ واشتدّ الخوف وخرج الناس فباتوا فى الشوارع خَوْفًا من هُجوم عساكر ابى ركوة واستمرّت الحُروب فانهزم ابو ركوة فى ثالثِ ذى الحِجّة على الفَيّوم وتَبِعه القائد فضل بعد ان بعَث الى القاهرة ستّة آلافِ

آلافِ راسٍ ومايةُ اسر الى ان قُبِض عليه فى بِلاد النُّوبَة وأُحْضِرَ الى القاهرة فقُتِل بها وخُلِع على القائد فضل وسُيِّرَت البشائر بقَتْلِه فى الأعمال وفى سنةِ سبعٍ وتسعين امَر بِمَحْوِ سَبّ السَّلَف فَمُحِى سائرُ ما كُتِب من ذلك وعَلَتِ الأسعار لنَقْص مآء النيل فانه بلَغ ستّةَ عَشَرَ أُصْبُعًا من سَبْعَةَ عَشَرَ ذِراعًا ثم نَقَص ومات بَنْجُوتَكين فى ذى الحِجّة واشتدّ الغلآء فى ثمانٍ وتسعين وولّى على ابن فلاحٍ دِمَشْقَ وقُبِض جميعُ ما هو مُحْبَس على الكَنائس وجُعِل فى الديوان وأَحْرَق عِدّةَ صُلبان على باب الجامع بمصر وكَتَب الى سائر الاعمال بذلك وفى سادِسَ عَشَرَ رَجَبٍ قُرِّرَ مالكُ بن سعيد الفارقىّ فى وظيفة قضآء القُضاة وتسلَّمَ كُتُبَ الدّعوة التى تُقْرَأُ بالقَصْر على الأَولِيآء وصُرِفَ عبدُ العزيز بن النعمان عن ذلك وصُرِف قائد القُوّاد لحسين بن جوهر عمّا كان يَلِيه من التَّوَسُّط فى سابع شَعْبَانَ وقُرِّر مكانَه صالحُ بنُ علىّ الرُّوذْبَارىّ وقُرّر فى ديوان الشام مكانَه ابو عبد الله المَوْصِلىّ الكاتب وأُمِر حُسينُ بن جوهر وعبد العزيز بلُزُوم

دورهما

دورهما ومُنعا من الركوب وسائرُ اولادهما ثم عَفا عنهما
بعد ايّام وأُمِرا بالركوب وتوقَّفَتْ زيادةُ النيل واستَسقى
الناسُ مرّتَيْنِ وامَر بإبطال عِدّةِ مُكوس وتعذّر وُجودُ
الخُبْز لغَلآئه وقِلّته وفتح الخليج فى رابع تُوتْ والمآءُ على
خمْسةَ عشَرَ ذِراعا فاشتدّ الغَلآءُ وفى تاسع مُحَرّمٍ وهو
نصْفُ تُوتْ نقَص مآءُ النيل ولم يُوْفِ ستّةَ عشرَ ذِراعا
ومَنع الناسَ كافّة من التّظاهُر بالغِناء ومن ركوب البَحْر
للتفرّج ومنَع من بَيْع المُسْكِرات ومنَع الناس كافّة من
الخُروج قَبْلَ الفَجْر وبعد العَشآء الى الطُّرُقات واشتدّ
الأمْرُ على الكافّة لشِدّة ما داخلَهم من الخوف مع شدّة
الغَلآء وتزايُد الأمْراض فى الناس والمَوْت ولما كان فى
رَجَبٍ انحلّتِ الاسعار وقُرِئَ سجلٌّ فيه يَصومُ الصائمون
على حِسابهم ويُفْطِرون ولا يُعارَضُ اهلُ الرُّؤْيه فيما هم
عليهِ صائمون ومُفْطِرون وصلاةُ الخمسين للذين بما
جآءهم فيها يُصَلُّون وصَلاةُ الضُّحَى وصلاةُ التَّراويح لا مانِعَ
لهم منها ولا هم عنها يُدفَعون ويُخمِّسُ فى التكبير على
الجنائز المُخَمِّسون ولا يُمْنَعُ من التربيع عليها المُرَبِّعون

يُؤذِّنون

يُؤَذِّنون بِحَيَّ على خير العَمَل المُؤَذِّنون ولا يُـؤْذَى من
بها لا يؤَذِّنون ولا نُسَبّ احد من السّلَف ولا يُحْتَسَب
على الوَاصِف فيهم بما يَصِف والحالِفِ فيهم بما حلِف
لكل مسلم مُجتهِدٍ فى دينه آجتِهادُه ولُقّب صالح بن علىّ
الروذبارىّ بِثِقَة ثِقات السيف والقلمَ وأُعِيد القاضى عبد
العزيز بن النعمان الى النّظر فى المظالم وتَزايَدت الامراض
وكَثُر الموت وعَزّتِ الأَدْوية وأُعيدت المكوس التى رُفِعت
وهُدِمت كنائسُ كانت بطريق المَقْسِ وهُدِمت كنيسةُ
بِحارة الروم من القاهرة ونُهِب ما فيها وقتِل كثير من
الخُدّام والكُتّاب ومن الصّقالِبَةِ بعد ما قُطِعت ايدى
بعضهم من الكتّاب بالسّاطور على خَشَبَةٍ من وَسْط الذِّراع
وقتِل القائد فضل بن صالح فى ذى القعدة وفى حادِىَ
عشَرَ صَفَرٍ صُرِف صالح بن علىّ الروذبارىّ وقرِّر مَكانَه
ابن عَبْدون النصرانىّ الكاتب ولُقِّب بالكافى فوقّع عن
الحاكم ونظر وكَتَب بهَدْم كنيسة القُمامة وجدّد
ديوانًا يُقال له الديوانُ المُفْرَد برَسْم من يُقْبَض ماله من
المقتولين وغيرِهم وكثُرت الامراض وعزّت الادوية وشُهِر
جماعةٌ

جماعةٌ وُجِد عندهم فُقَاعٌ ومَلُوخيا ودَلِينَس وتُرْمُس
وضُرِبوا وهُدِم دَيْر القصر واشتدّ الامر على النّصارَى
واليَهود فى إلزامهم لُبْس الغِيار وكتب بإبطال أَخْذِ
الخُمْسِ والنّجاوَى والفِطْرة وفرّ الحسين بن جوهر واولادُه
وعبد العزيز بن النعمان وفرّ ابو القسم الحسين بن
المَغْرِبىّ وكُنِسَتْ عِدّة أمامات لِعدّة طوائف من شِدّة
خوفهم وقُطِعت قِرآءةُ مجالس الحِكْمة بالقصر ووقع
التشديدُ فى المَنْع من المُسكِرات وقُتل كثير من الكُتّاب
والخُدّام والفَرّاشين وقَتل صالح بن علىّ الروذبارىّ فى
شَوّالٍ وفى رابع المُحرّم سنةَ إحدَى وأرْبَعمايه صرَف
الكافى بن عبدون عن النظر والتّوقيع وقرّر بَدَلَه احمدَ
ابن محمّد القشورىّ الكاتب فى الوَساطة والسِّفارة وحضر
حسين بن جوهر وعبد العزيز بن النعمان الى القاهرة
فأُكْرِما ثم صرف ابن القشورىّ بعد عَشَرَةِ ايّام من
آستِقْراره وضُرِب عُنُقه وقُرِّر بَدَلَهُ زُرْعَة بن عِيسَى بن
نَسْطُورَس الكاتب النصرانىّ ولُقِّب بالشافى ومنَع الناس
من رُكُوب المَراكِب فى الخليج وسُدَّتْ ابواب الدُّور الى

على

على الخليج والطاقات وأُضيف الى قاضى القضاة مالك بن
سعيد النظرُ فى المظالم وأُعيدت مجالِس الحِكمة وأُخِذ
مال النَّجْوَى وقُتِل ابن عبدون وقُبِض مالُهُ وضُرِب جماعة
وشُهِّروا من أجل بَيْعهم الملوخيا والسَّمَك الذى لا قِشْرَ
له وبِسَبَب بَيْع النَّبيد وقتِل الحسين بن جوهر وعبد
العزيز بن النعمان فى جُمادَى الآخرة فى سنة إحْدى
واربعماية وأُحيط باموالهما وأُبْطِلت عدّة مكوس ومُنِع
الناس من الغِناء واللَّهْو ومن بيع المُغَيِّبات ومن الإجْتِماع
بالصَّحْراء وفى هذه السنة خَلَع حسّان بن مفرج بن
دَغْفَل بن الجَرَّاح طاعةَ الحاكم واقام ابا الفُتوح حسن
ابن جعفر الحسنىّ اميرَ مكّةَ خليفةً وبايَعه ودعا النَاسَ
الى مُبايَعته وقاتَل عساكرَ الحاكم وفى سنة اثنتين
واربعمأية منَع من بَيْع الزَّبيب وكُتِب بالمَنْع من
حَمْله وأُلْقِيَ فى بَحْر النيل منه شىءٌ كثير وأُحْرِق منه كثير
ومنَع النِّساءَ من زِيارة القُبور فلم يُرَ فى الاعياد بالمَقابِر
آمْرَأة واحدة ومنَع من الاجتماع على شاطِئ النيل للتفرُّج
ومنَع من بيع العِنَب الا اربعةَ ارطالٍ فما دونَها ومنَع

من عصبره وطرح كثير منه وديس فى الطرقات وغرق كثير منه فى النيل ومنع من حمله وقطعت كروم الجيزة كلها وسيّر الى الجهات بذلك وفى سنة ثلث واربعمأية علا السعر وازدحم الناس على الخبز وفى ثانى ربيع الاوّل منها هلك عيسى بن نسطورس وأمر النصارى بلبس السواد وتعليق الصلبان الخشب فى اعناقهم وان يكون الصلب ذراعا فى مثله وزنته خمسة ارطال وان يكون مكشوفا بحيث يراه الناس ومنعوا من ركوب الخيل وان يكون ركوبهم البغال والحمير بالسروج الخشب والسيور السود بغير حلية وان يشدّوا الزنانير ولا يستخدموا مسلما ولا يشتروا عبدا ولا أمة وتتبّعت آثارهم فى ذلك فأسلم منهم عدّة وقرّر حسين بن طاهر الوزّان فى الوساطة والتوقيع عن الحاكم فى تاسع عشرين ربيع الاوّل منها ولقّب بأمين الأمناء ونقش الحاكم على خاتمه بنصر الله العظيم الولىّ ينتصر الإمام ابو علىّ وضرب جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وهدمت الكنائس وأخذ جميع ما فيها وما لها من الرباع وكتب بذلك

بذلك الى الاعمال فهُدمت بها وفيها لَحِق ابو الفتوح
بمكّة ودعا للحاكم وضرَب السّكّة بأسمه وأمَر الحاكمُ
ان لا يُقَبِّلَ احد له الارض ولا يُقبّلَ رِكابُه ولا يَده عند
السلام عليه في المَواكِب فانّ الإنحِنآء الى الارض
لِمَخْلوقٍ من صَنيع الروم وان لا يُرادَ على قولهم السلامُ
على امير المومنين ورحمةُ الله وبَرَكاتُه ولا يُصلّيَ عليه
احد في مُكاتَبته ولا مُخاطَبته ويُقتَصَر في مكاتبته على
سلامُ الله وتَحيّاتُه ونَوامى بَرَكاتِه على امير المومنين
ويُدْعَى له بما يَتّفِق من الدعآء فقَطْ لا غيرُ فلم يقُلِ
الخُطَبآء يومَ الجُمْعة سِوَى اللهُمّ صَلِّ على محمّد المُصْطفَى
وسَلِّمْ على امير المومنين علىّ المُرْتضَى اللهمّ وسَلِّم على
امير المومنين ابن امير المومنين اللهمّ آجْعَلْ أفضَل
سلامِك على عبدك وخليفتك ومَنع من ضرب الطّبول
والأَبْواق حَوْل القصر فصاروا يطوفون بغيرِ طبل ولا بوق
وكثُرت إنعاماتُ الحاكم فوقّف امين الامرآء حسن بن
طاهر الوزّانُ في إمْضآئها فكتب اليه الحاكم بخطّه
بَعْد البَسْمَلهِ

الحمدُ لله كما هو أهْلُه

أَصبحْتُ لا ارجو ولا أَتّقى إلّا إِلَهى وله الفَضْلُ
جَدّى نبيّى وإمامى أَبى ودينىَ الإخلاص والعَدْلُ
المالُ مال الله والخلْق عِبادُ الله ونحْن أُمَنآؤه فى الارض أَطْلِقْ ارزاق الناس ولا تَقْطَعْها والسلامُ وركِب الحاكم فى يوم عِيد الفِطْر الى المُصَلّى بغير زينة ولا جَنائب ولا أُبْهَةٍ سِوَى عشرةِ افراسٍ تُقادُ بسُروج ولُجُم مُحلّاة بفِضّة خفيفة وبُنود سادجة ومَظلّة بيْضاءَ بغَيْرِ ذَهَب وعليه بَياضٌ بغير طِراز ولا ذهبٍ ولا جوهر فى عِمامته ولم يُفْرَشِ المِنْبرُ ومنَع الناسَ من سبّ السَّلَف وضرَب فى ذلك وشهَّر وصلّى صلوةَ عيد النَّحْر كما صلّى صلوة الفِطر من غير ابهة ونَحَر عنه عبدُ الرحيم بن ألياس بن احمدَ المَهْدَىّ واكثر الحاكمُ من الرُّكوب الى الصَّحْرآء بِحِذآء فى رِجْلَيْه وفُوطَه على رأسه وفى سنةِ اربعٍ واربعمايه أَلزم اليهودَ ان يكونَ فى اعناقهم جرَس إذا دخلوا الى الحمّام وان يكون فى عُنْق النصارَى صُلْبان ومنَع الناس من الكلام فى النُّجوم وأُقْصِى المُنجّمون

من الطُّرُقات وطُلِبوا فتعسَّبوا ونُفُوا وكثُرت هِباتُ الحاكم وصَدَقاته وعُتُقه وأَمَر اليهود والنصارى بالخُروج من مصرَ الى بِلاد الروم وغيرها واقام عبد الرحيم بن الياس وليَّ العَهْد وأُمِر ان يُقال في السلامِ عليه السلامُ على ابن عَمّ امير المومنين ووَلِيِّ عَهْد المسلمين وصار يَجْلِس بمكانٍ في القصر وصار الحاكم يركب بدُرّاعةِ صَوْفٍ بَيْضاءَ ويتعمّم بفُوطة وفي رِجْله حِذآء عَرَبيّ بقِبالَيْنِ وعبدُ الرحيم يتولّى النَّظر في أُمور الدولة كلِّها وافرط الحاكم في العَطَآء ورَدّ ما كان أخذ من الضِّياع والأَملاك لأَربابها وفي ربيع الاوّل امَر بقَطْع يدَيْ ابي القسم الجرجرائي وكان يكتُب للقائد غين ثم قُطِعت يد غين فصار مقطوعَ اليدين وبعَث اليه الحاكم بعد قَطْع يديه بآلافٍ من الذهب والثِّياب ثمّ بعد ذلك امر بقطع لسانه فقُطِع وأَبْطَل عِدّة مُكوسٍ وقتل الكِلاب كلَّها واكثَر من الركوب في الليل ومنَع النسآء من المَشْيِ في الطُرُقات فلم تُرَ آمْرَأَة في طريق البَتّة وأُغْلِقت حَمّاماتُهنّ ومنَع الأَساكِفة من عَمَل خِفافِهِنّ وتعطّلت حَوانيتهم واشتدّت

واشتدّت الإشاعةُ بوقوع السّيف فى الناس فتهاربوا وغُلقت الاسواق فلم يُبَعْ شىء ودُعِى لعبد الرحيم بن الياس على المَنابِر وضُربت السِّكّة باسمه بوِلاية العَهْد وفى سنة خمْسٍ واربعمأية قُتل مالك بن سعيد الفارقى فى ربيع الآخِر وكانت مُدّة نظره فى قضاء القُضاة سِتّ سنين وتِسْعةَ أَشْهُرٍ وعشرةَ ايّام وبلغ إقْطاعُه فى السنه خمسةَ عشرَ الفَ دينارٍ وتَزايَد ركوب الحاكم حتّى كان يركب فى كل يوم عِدّةَ مِرارٍ واشترى الحَمير وركِبَها بَدَلَ الخَيْل وفى جُمادَى الآخِرة منها قتل الحسين ابن طاهر الوزّانَ فكانت مُدّة نظره فى الوَساطة سنتَيْن وشَهْرَين وعشرين يوما فامَر اصحابَ الدواوين بلُزوم دواوينهم وصار الحاكم يركب حِمارا بشَاشِيةٍ مَكْشوفة بغير عِمامة ثمّ اقام عبدَ الرحيم بن ابى السَّيّد الكاتِب واخاه ابا عبد الله الحسين فى الوَساطة والسِّفارة واقرّ فى وظيفة قضاء القُضاة احمدَ بن محمد بن ابى العوّام وخرج الحاكم من الحَدّ فى العَطاء حتّى أقْطع نَوَاتية المَراكِب والمَشاعِليّة وبنى قرّة فِيمّا أقْطع الأَسْكَنْدرِيّةُ والبُحَيْرةُ

والبُحَيْرَةُ ونَواحيها ثمّ قتل ابنَىْ ابى السيّد وكانت مُدّة نظرهما اثنَيْن وستّين يوما وقلّد الوَساطة فَضْلَ بن جعفر ابن الفُرات ثمّ قتلَه فى اليوم الخامِس من ولايته وغلَب بنو قُرّة على الاسكندريّة وأَعمالها وأَكْثَر الحاكم من الركوب فى يومٍ سِتّ مرّاتٍ مرّةً على فَرَس ومرّة على حِمار ومرّة فى مِحَفّة تُحْمَلُ على الأَعْناق ومرّة فى عَشاريّ على النيل بغير عِمامة واكثر من إقطاع الجُنْدِ والعَبيد الإقْطاعاتِ واقام ذا الرِّياسَتَيْنِ قُطْبَ الدولة ابا الحسَين علىّ بن جعفر بن فلاح فى الوَساطة والسِّفارة ووَلّى عبد الرحيم بن الياس دِمَشْقَ فسار اليها فى جُمادَى الآخرة سنةَ تِسْعٍ واربعمأية فاقام فيها شَهْرَيْن ثمّ هَجَم عليه قَوْم فقتلوا جَماعةً مِمَّنْ عنده واخذوه فى صَنْدوق وحملوه الى مصر ثمّ أُعيد الى دمشق فاقام بها الى لَيْلةِ عِيد الفِطْر وأُخْرِجَ منها ولمّا كان لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا من شَوّال سنةَ إحْدَى عشرَ واربعمأية فُقِدَ الحاكمُ وقيل انّ أُخْتَه قتلَتْه وليس بصحيح وكان عُمْرُه ستّا وثلثين سنةً وسَبْعةَ اشهُر وكانت مُدّة خِلافته خمسًا وعِشْرين سنةً وشهرًا

وكان

وكان جَوادا سَفّاكا قتل عَدَدًا لا يُحْصَوْن وكانت سيرته من أَعْجَبِ السِّيَر وخُطِب له على مَنابِر مصر والشام وافريقية والحجاز وكان يَشْتَغِل بعُلوم الأوائل ويَنْظُر في النجوم وعَمل رَصْدا واتّخذ بَيْتا في المُقَطَّم يَنْقطِعُ فيه عن الناس لذلك ويُقال انّه كان يَعْتَرِيه جَفاف في دِماغه فلذلك كثُر تَناقُضه وما أَحْسَنَ ما قال فيه بَعْضُهم

كانت أفعاله لا تُعَلَّلُ   وأحلامُ وَساوِسِهِ لا تُؤَوَّلُ

وقال المسبّحيّ في مُحَرَّمِ سنةِ خمس عشرةَ وأربعمائةٍ قُبِض على رَجُل من بني حسين ثارَ بالصَّعيد الأَعْلَى فاقرّ انّه قتل الحاكم بامر الله في جُمْلَةِ اربعةِ أَنْفُسٍ تَفرَّقوا في البِلاد وأَظْهَر قِطْعةً من جِلْدَة رأس الحاكم وقِطْعة من الفُوطة التي كانت عليه فقيل له لِمَ قتلتَه فقال غَيْرَةً لِلّه ولِلإسلام فقيل كيف قتلته فأَخْرَج سِكّينا ضرب بها فُؤادَه وقتل نفسه وقال هكذا قتلتُه وقُطِع رأسه وأُنْفِذَ به الى الحَضْرة مع ما وُجِد معَهُ وهذا هو الصَّحيحُ في خَبَرِ قتل الحاكم لا ما يَحكِيهِ المَشارِقةُ في كُتُبهم من أَنَّ أُخْتَه قتلَتْه واللّهُ أَعْلَمُ ۞

ذكر

ذكر ارض الطبّالة وحشيشة الفقرآء

هذه الارض على جانب الخليج الغربيّ بجوار المَقْس كانت من احسنِ متنزّهات القاهرة بمرّ النيل الاعظم من غربيّها عند ما تُدفَع من ساحل المقس حيث جامعُ المقس الآن الى ان ينتهى الى الموضع الذى يُعرَف بالجُرْف على جانب الخليج الناصِرىّ بالقُرب من بِركة الرطلىّ ويمرّ من الجرف الى غربىّ البَعْلِ فتنحصر ارض الطبّالة نُقطةَ وَسَطٍ من غربيّها النيل الاعظم ومن شرقيّها الخليج ومن قِبْليّها البركة المعروفة ببَطْن البَقَرة والبساتين التى آخِرُها حيث الآن باب مصر بجوار الكبارة وحيث المشهد النفيسىّ ومن بحريّها ارض البعل ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمسُ وجوهٍ وقبّة الهوآء وكانت روية هذه الارض شيئًا عجيبا فى ايّام الربيع وفيها يقول سيف الدين علىّ بن قزل المشدّ

الى طبّالة يَعْزُون ارضا
لها من سُنْدُس الريحان بُسْطُ
وقد كتَبَ الشَّقيقُ بها سطورا

وأحسَنَ

وأحسَنَ شَكْلَها للـطّبْـلِ نُـقْـطُ

رِياضٌ كالعرائـس حـينَ تَجْـلِي

يـزيّـن وجـهـهـا تاجٌ وقُـرْطُ

وانما قيل لها ارضُ الطبّاله لان الامير ابا الحارث ارسلان البساسيرىّ لما عاصَى الخليفةَ القائمَ بامر الله العبّاسىّ وخرج من بغداد يريدُ الإنتماء الى الدولة الفاطميّة بالقاهرة امدّه الخليفةُ المستنصر بالله ووزيره الناصر للدين عبد الرحمن اليازورىّ حتى استولى على بغداد واخذ قصر الخلافه وازال دولة بنى العبّاس واقام الدوله الفاطميّة هناك وسيّر عمامة القائم وثيابه وشبّاكه الذى كان اذا جلس يسند اليه وغير ذلك من الاموال والتُّحف الى القاهرة فى سنة خمسين واربعمائة ولمّا وصل ذلك الى القاهرة سُرّ الخليفةُ المستنصر سرورا كثيرا وزُيّنت القاهرة والقصور ومدينة مصر والجزيرة فوقفت نُسْب طبّالة المستنصر وكانت امرأة مُرَجّلة تقف تحت القصر فى المواسم والاعياد وتسير أَمام المَوْكب وحولها طائفتُها وهى تضرب بالطَّبْل وتُنْشد فانشدت وهى واقفة تحت القصر

*

ما

يا بنى العبّاس رُدّوا مَلِكُ الامر مُعَدّْ
مُلْكُكم مُلْكٌ مُعارٌ والعَوَارِى تُسْتَرَدّْ

فاعجب المستنصرَ ذلك منها وقال لها تمنّىْ فسألت ان تُقْطَع الارضَ المجاوِرةَ للمقس فاقطعها هذه الارضَ وقيل لها من حينئذ ارضُ الطبّالة ولنشب هذه تربه بالقرافه الكبرى تعرف بتربه نشب قال ابن عبد الظاهر ارض الطبّاله منسوبه الى امرأة مُغنّية تُعْرَف بنشب وقيل تُطْرِب مغنّيه المستنصر قال فوهبها هذه الارض المعروفه بارض الطبّاله وحُكِّرت وبُنيت أدُرا وبيوتا وكانت من مُلَح القاهرة وبَهْجَتِها انتهى ثم انّ ارض الطبّاله خربت فى سنة ستّ وتسعين وستّمائه عند حُدوث الغَلآء والوبآء فى سلطنه الملك العادل كَتْبُغَا حتى لم يبقَ فيها انسان يلوح وبقِيَتْ خَرابًا الى بعد سنه احدى عشرة وسبعمائه فشرع الناس فى سُكناها قليلا قليلا فلما حفر الملك الناصر محمد بن قَلَاوُنَ الخليج الناصرىّ فى سنة خمسٍ وعشرين وسبعمأيه كانت هذه الارض بيد الامير بكتمر الحاجب فما زال بالمُهَنْدِسين

حتى

حتى مرّوا بالخليج من عند الجرف على بركة الطوّابين
التى تعرف اليوم ببركة الحاجب وببركة الرطلىّ ثمّ مرّوا
به من هناك حتى صُبّ فى الخليج الكبير من آخر ارض
الطبّالة فعمّر الامير بكتمر المذكور هناك القنطرة التى
تعرف بقنطرة الحاجب على الخليج الناصرىّ واقام
جِسْرا من القنطرة المذكورة الى قريب من الجرف
فصار هذا الجسر فاصلا بين بركة الحاجب وبين الخليج
الناصرىّ واذن للناس فى تحكيره فبنَوا عليه وعلى البركة
الدُور وعُمِرت بسبب ذلك ارضُ الطبّالة وصار بها عدّة
حارات منها حارة العرَب وحارة الاكراد وحارة البَزادِرة
وحارة القشّاشين وغير ذلك وبقِى فيها عدّة اسواق وحمّام
وجوامعُ تُقام فيها الجُمْعة واقبل الناس على التنَزُّه
بها ايّام النيل والربيع وكثرت الرّغبات فيها لقُربها من
القاهرة وما برحت على غاية من العمارة الى ان حدَث
الغلآء فى سنة ست وسبعين وسبعمأيه ايّام الأَشْرَف
شَعْبَان بن حسين فخرب كثير من الحارات بارض الطبّالة
وبقيت منها بقيّة الى ان دثَرت مُنْذُ سنة ستّ وثمانمأيه

وصارت

وصارت كيمانا وبقي فيها من العامر الآن الاملاك المُطِلّة على البركه التى ذُكِرَت عند ذكر البِرَك من هذا الكتاب ومنها بُقْعة تعرف بالحُشَيْشَة تصغير حَشّة من احبث بِقاعِ الارض تُحْمَل منها مَعاصى الله وتعرف بِبَيْع الحشيشه التى تَبْلَعُها اراذلُ الناس وقد فَشَتْ هذه الشجرة الخبيثه فى وقتنا هذا فُشُوًّا زائدا وَوَلِع بها اهل الخلاعه والسُّخْف وُلوعا كثيرا وتظاهروا بها من غير احتشام بعد ما ادركناها تُعَدّ من ارذل الخبائث واقبح القاذورات وما شئ فى الحقيقه افسدَ لطِباع البشر منها ولإشتِهارها فى وقتنا هذا عند العامّ والخاصّ بمصر والشام والعراق والروم نُعَيِّنُ ذكرها ❊

ذكر حشيشه الفقرآء

قال الحسن بن محمد فى كتاب السوانح الادبيّه فى مدائح القِنَّبِيّه سألتُ الشيخ جعفر بن محمد الشيرازيّ الحَيْدَريّ ببَلْدةِ تُسْتَرَ فى سنه ثمانٍ وخمسين وستّمأيه عن السبب فى الوقوف على هذا العَقّار ووصوله الى الفقرآء

الفقرآء خاصّة وتعدّيه الى العوامّ عامّة فذكر لى انّ شيخ الشيوخ حيدر كان كثيرَ الرياضة والمجاهَدة قليلَ الاستعمال للغذآء قد فاق فى الزّهادة وبرز فى العبادة وكان مولدُه بنشاور من بلاد خراسان ومقامُه بجبل بين نشاور وراماه وكان قد اتّخذ بهذا الجبل زاوية وفى صُحبته جماعةٌ من الفقرآء وانقطع فى موضع منها ومكث بها اكثر من عشر سنين لا يخرج منه ولا يدخل عليه احدٌ غيري للقيام بخِدْمته قال ثمّ ان الشيخ طلع ذاتَ يومٍ وقد اشتدّ الحرّ وقتَ القائلةِ منفردا بنفسه الى الصحرآء ثمّ عاد وقد علا وجهَه نَشاطٌ وسرور خِلافُ ما كنّا نَعْهَده من حاله قبلُ واذِن لاصحابه فى الدخول عليه واخذ يحادثهم فلمّا رأينا الشيخ على هذه الحالة من المؤانسة بعد اقامته تلك المدّةَ الطويلة فى الخلوة والعُزْلة سألناه عن سبب ذلك فقال بينما انا فى خَلوتى اذ خطر بخاطرى الخروجُ الى الصحرآء منفردًا فخرجت فوجدت كل شىء من النّبات ساكنا لا يتحرّك لعَدَم الريح وشدّة القَيْظ ومررت بنبات له ورقٌ فرأيته فى تلك

الحال

الحال يميس بلُطف ويتحرّك من غير عُنْف كالثمِل النَّشْوان فجعلت اقطِف منه اوراقا وآكُلها فحدث عندي من الارتياح ما شاهدتموه فقوموا بنا حتّى أُوقفكم عليه لتعرفوا شَكْلَه قال فخرجنا الى الصحرآء فأوقفنا على النبات فلمّا رأيناه قلنا له هذا نبات يقال له القِنَّبُ فامَرنا ان نأخذ من ورقه ونأكله ففعلنا ثمّ عُدنا الى الزاوية فوجدنا في قلوبنا من السرور والفرح ما عجزنا عن كِتْمانه فلمّا رآنا الشيخ على الحالة التي وصفنا امرنا بصيانة سِرّ هذا العقّار واخَذَ علينا الأَيْمانَ ان لا نعلِّم به عوامّ الناس واوصانا ان لا نُخفيَه عن الفقرآء وقال ان الله تعالى قد خصّكم بسِرّ هذا الورق ليُذهِبَ بأكله همومَكم الكثيفة وتجلو بفعله افكاركم الشريفة فراقبوه فيما اودعكم وراعوه فيما استرعاكم قال الشيخ جعفر فزرعتُها بزاوية الشيخ حيدر بعد ان وَقَفَنا على هذا السِرّ في حياته وامرني بزرْعها حول ضريحه بعد وفاته وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين وانا في خدمته لم أَرَهُ يقطَع أكلها في كل يوم

وكان بأمرها بتغلغل العدآء وأكل هذه الحشيشة وتُوُفِّيَ الشيخ حيدر سنه ثماني عشرة بزاويته في الجبل وعُمِل على ضريحه قبّة عظيمة وأَتَتْه النذورُ الوافرة من اهل خراسانَ وعظّموا قدره وزاروا قبره واحترموا اصحابه وكان قد اوصى اصحابه عند وفاته ان يُوقِفوا ظُرفآء اهل خراسان وكبرآءها على هذا العقّار وسِرّه فاستعملوه قال ولم تزل الحشيشة شائعةً وذائعة ببلاد خراسان ومعاملة فارس ولم يكن يعرِف اكلَها اهلُ العراق حتى ورد اليها صاحب هُرْمُزْ ومحمد بن محمد صاحب البَحْرَيْن وهما من ملوك سِيف البحر المجاور لبلاد فارس في ايّام المستنصر بالله وذلك في سنة ثمان وعشرين وستّمأية فجلبها اصحابُهما معهم واظهروا للناس اكلها فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها الى اهل الشام ومصر والروم فاستعملوها قال وفي هذه السنه ظهرت الدراهم ببغداذ وكان الناس يُنفقون القُراضه وقد نسب إظهارَ الحشيشة الى الشيخ حيدر الاديبُ محمد بن على بن الاعمى الدمشقيّ في ابيات له

دَعِ الخمر واشرَب من مُدامة حيدر

مُعَنْبَرَةٍ خَضْرآءَ مِثْلَ الزَبَرْجَدِ
يُعاطيكَها ظَبْيٌ من التُّرْك أغْيَدُ
يميس على غُصْنٍ من البان أمْلَدِ
فتَحْسِبها فى كفّه اذ يُديرها
كرَقْم عِذارٍ فوقَ خَدّ مُوَرَّدِ
يُرَنِّحها ازكى نسيمٍ تَنَسَّمَتْ
فتَهْفُو الى بَرْد النسيم المُرَدَّدِ
وتَشْدُو على اغصانها الوُرْقُ فى السَّحَر
فيُطْرِبُها سَجْعُ الحَمام المُغَرِّدِ
وفيها معَانٍ لَيْسَ فى الخَمْر مِثْلُها
فلا تَسْمَعْ فيها مَقالَ مُفَنِّدِ
هى البِكْر لم تُنْكَحْ بمآء سَحابه
ولا عُصِرَتْ يومًا برِجْل ولا يَدِ
ولا عَبِثَ القسِّيسُ يومًا بكأسِها
ولا قَرَّبوا من دَنِّها كلّ مُلْحِدِ
ولا نَصّ فى تحريمها عِنْد مالك
ولا حَدَّ عند الشافِعىّ وأحْمَدَ

ولا أَثْبَتَ النُّعْمَانُ تَنْجبسَ عَنْنِهَا
خُذْها بِحَدِّ الْمُشْرَفِيِّ الْمُهَنَّدِ
وكُفَّ أَكُفَّ الهَمِّ بالكَفِّ وَٱسْتَرِحْ
ولا تَطْرِحْ يومَ السُّرور الى غَدِ

وكذلك نسب اظهارَها الى الشيخ حيدر الاديب احمد بن محمد بن الرمّام الحلبيّ فى قوله

ومُهَفْهِفٍ نَادِى النِّفَارِ عَهِدْتُهُ
لا أَلْتَقِيهِ قَطُّ غَيْرَ مُعَبِّسِ
فرأيته بَعْضَ اللَّيالى ضاحِكًا
سَهْلَ العَريكَةِ رَبِّضًا فى المَجْلِسِ
فَقَضَيْتُ منه مَآرِبِى وشَكَرْتُهُ
إِذْ صار من بَعْدِ التَّنافُرِ مُؤْنِسِى
أَجَابَنِى لا تَشْكُرَنَّ خَلاَئِقِى
وَٱشْكُرْ شَفِيعَكَ فَهْوَ خَمْرُ ٱلْمُفْلِسِ
حَشِيشَةُ الافراح تَشْفَعُ عندنا
للعاشِقين بِبَسْطِها لِلأَنْفُسِ
وَإِذا هَمَمْتَ بِصَيْدِ ظَبْيٍ نافِرٍ

فَٱجْهَدْ

فَاجْهَدْ بِأَنْ يَرَى حَشِيشَ الغَنبِس
وَاشْكُرْ عِصابَةَ حيدرٍ إذْ أظهروا
لِذَوِي الخَلاعةِ مَذْهَبا مُتَحَبِّسِ
وَدَعِ المُعَطِّلَ للسرورِ وخَلِّنى
من حُسنِ ظَنِّ الناسِ بالمتَنَمِّسِ

وقد حدّثنى الشيخ محمد الشيرازىّ القلندرى انّ الشيخ حيدر لم ياكل الحشيشة فى عُمْره البتّة وانّما عامّة اهل خراسان نسبوها اليه لاشتهار اصحابه بها وانّ اظهارَها كان قبلَ وجوده بزمانٍ طويل وذلك انّه كان بالهند شيخ يسمّى بيرزطن هو اوّلُ مَن اظهر لاهل الهند اكلها ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك ثم شاع امرها فى بلاد الهند حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن ثم فشا الى اهل فارس ثم ورد خبرها الى اهل العراق والروم والشام ومصر فى السنة الّتى قدّمْتُ ذكرَها قال وكان بيرزطن فى زمان الاكاسرة وادرك الاسلام واسلم وان الناس من ذلك الوقت يستعملونها وقد نسَب اظهارَها الى اهل الهند علىّ بن مكىّ فى ابيات انشدنيها من لفظه

لعطه وفى هذه الابيات ،

أَلا فَاكْفُفِ الأحزان عنّى مع الضرّ
بعذراءَ زُفّتْ فى ملاحِحها الخُضرِ
تجلّتْ لنا لمّا تحلّتْ بسُنْدُسٍ
فجلّتْ عن التشبيه فى النّظْمِ والنّثْرِ
بدتْ تملأُ الابصارَ نورًا بحُسْنِها
فأخْجلَ نورُ الرّوْضِ والزّهْرِ بالزّهْرِ
عَروسٌ يَسُرُّ النّفْسَ مكْنونُ سِرّها
ويُفْصِحُ فى كل الحَواسّ إذا تَسْرى
فللذّوْق منها مَطْعَمُ الشّهْدِ رائقًا
وللشّمّ منها فائقُ المِسْكِ بالنّشْرِ
وفى لَوْنِها للطّرْفِ أَحْسَنُ نُزْهَةٍ
يميلُ الى رُوياهُ مِن سائرِ الزّهْرِ
تَرَكّبُ من قانٍ وأَبْيَض فانْثَنَتْ
تَتِيهُ على الأزْهارِ عاليةِ القَدْرِ
فتَكْسِفُ نورَ الشّمْسِ حُمْرَةُ لَوْنِها
وتَخْجَلُ من مُبْيَضّهِ طَلْعَةُ البَدْرِ

 عَلَتْ

عَلَتْ رُتْبَةً فى حُسْنِها وكَأنّها
زَبَرْجَدُ رَوْضٍ جادَهُ وَابِلُ القَطْرِ
بَدَتْ فأبْدَتْ ما أَجَنَّ من الهوَى
وَجاءَتْ فَولَّتْ جُنْدُ هَمِّىَ والفكْرِ
جَمِيلَةُ اوصافٍ جليلةُ رُتْبَه
تَعالَتْ تَعالَى فى مَدائحِها شِعْرى
فَقُمْ فأنْفِ جُنْسَ الهَمِّ واكفُفْ يَدَ العُنَى
بِهِنْدِيَّةٍ أمْضَى من البِيضِ والسُّمْرِ
بِهِنْدِيَّةٍ فى أصْلِ إظْهارِ أكْلِها
الى الناسِ لا هِنْدِيَّةِ اللَّوْنِ كالسُّمْرِ
تُزِيلُ لَهيبَ الهَمِّ عَنّا بِأكْلِها
وتَهْدِى لنا الأفْراحَ فى السِّرِّ والجَهْرِ

قال وانا اقول انه قديم معروف منذ اوجد الله الدنيا وقد كان على عهد اليونانين والدليل على ذلك ما نقله الاطِبّآءُ فى كُتُبهم عن بُقْرَاطَ وجالينُوس من مزاج هذا العقّار وخواصّه ومَنافعه ومضارّه قال ابن جزلة فى كتاب منهاج البيان العشب الذى هو ورق القنّب ان نُسْلَق

بُستانىّ ومنه برّىّ والبستانى اجوَد وهو حارّ بابس فى
الدرجة الثالثه وفيل حرارته فى الدرجة الاولى وبفال
انه بارد يابس فى الدرجه الاولى والبرّى منه حارّ يابس
فى الدرجه الرابعه فال ويسمّى بالكفّ انشدنى تقى
الدين الموصلى

كُفّ كَفّ الهُموم بِالكَفّ فالكفّ شِفآء للعاشِق المَهْمُومِ
بِابْنَةِ ٱلقَنْبِس الكريمةِ لا إِبْنَةِ كَرْمٍ بُعْدًا لِبِنْتِ الكُرُومِ
قال الفقرآء انّما يقصدون باستعماله مع ما يجدون
من اللذّه تخفيفا للبسى وفى ابطاله قطعٌ لشهوة الجماع
كيلا تميل نفوسهم الى ما يوقع فى الزنا قال بعض
الاطبّآء يبغى لمن اكل الشهداىج او ورقه ان ياكله
مع اللوز او الفُسْتق والسُكّر او العسَل او الخَشْخاش
ويشرب بعده السِكَنْجَبين لدفع ضررَه واذا قُلِي كان
اقلّ لضرره ولذلك جرت العادة قبل اكله ان يقلى
واذا أُكِل غيرَ مقلوٍّ كان كثيرَ الضَّرَر وأَمْزِجَه الناس
تختلف فى اكله فمنهم من لا يقدر باكله مضافًا
الى غيره ومنهم من يضيف اليه السكّر او العسل او

عسره من الحلاوات وقرأتُ فى بعض الكتب ان جالينوس
قال: انها تُبرئ من التُخَمَةِ وهى جيّدة للهَضْم وذكر ابن
جزلة فى كتاب المنهاج ان بزر شجره العتب النبات
هو الشهداج وثَمَرة يشبه حَبّ السُّمْسُمِ وهو حب
يُعْصَر منه الدّهْن وحُكِيَ عن حُنَيْن بن إسحق ان شجره
البرّى تخرج فى القِفار المنقطعة على قدر ذراع وورقه
يعلف عليه التياسُ وقال يحيى بن ماسويه فى كتاب
تدبير ابدان الاصحّآء ان من غلب على بدنه البَلْغَمْ
ينبغى ان تكون اغذيته مسخّنة محققه كالترنج
والشهداج وقال صاحب كتاب اصلاح الادوية ان
الشهداج يُدرّ البَوْل وهو عَسِرُ الانهضام ردى الخُلْطَهِ
ردىّ للمِعْدة قال ولم اجد لازالة الرقر من اليد ابلغَ
من غَسلها بالحشيشه ورايت من خواصّها ان كثيرا من
دواب السموم كالحيّة ونحوِها اذا شمّت ريحها هربت
ورأيت ان الانسان اذا اكلها ووجد ثِقْلها فى نفسه
واحبّ ان يفارقه ثِقْلُها فطر فى معدته شيئا من الزيت
او اكل من اللَبَن الحامض ومما يكسر قوّة فعلها
ويُضعفه

ويُصعفه السّاحه فى المـآء الجارى والسوم يُبطله قال مؤلّفه رحمـه الله دع نُزّهات العوم فما بُلِى الناسُ بافسدَ من هده الشجرة لاخلافهم ولقد حدّثنى القاصى الرّئيس ناج الدين اسمعيل بن عبد الوهّاب بن الخطبا المخرومى قبل اختلاطه عن الرئيس علآء الدين بن نفيس انّه سُئل عن هده الحشيشه فقال اختبرتها فوجدتها تُورِث السّفاله والرّداله ولدلك جرّبنا فى طُول عُمرنا من عاناها فانّه ينحطّ فى سائر اخلاقه الى مقدار لا يكاد ان يبقى له من للإنسانيه شئ البتّةَ وقد قال ابن البيطار فى كتاب المُفرَدات ومن القنّب نوع ثالث يقال له القنّب الهندى ولم أرَهُ بغير مِصر ويُزْرَع فى البساتين ويسمّى بالحشيشة عندهم ايضا وهو يُسكر جدّا اذا تناول منه انسان قدر درهم او درهمين حتى ان من اكثر منه يُخرِجه الى حدّ الرُّعونة وقد استعمله قوم فاختلّت عقولهم وادّى بهم الحالُ الى الجنون وربمـا قـتـلَتْ ورأيـت الـفقرآء يستعملونها على أنْحَآء شَتّى فمنهم من يطبُخ الورق طَبْخا بليغا ويدعَكه باليد دَعْكا جيّدا حتّى ينعجن ويعمله اقراصا

اقراصا ومنهم من يحمّصه قليلا ثم يحمّصه ويفرّكه
باليد ويخْلِط به قليل سِمْسِمٍ مقشور وسكّر ويستفّه
ويُطيل مَضْغَه فانّهم يطربون عليه ويفرحون كثيرا وممّا
يُسكرهم يخرجون به الى الجنون او قريبا منه وهذا ما
شاهدته من فعلها واذا خيف من الاكثار منه فليبادر
الى القيء بسَمْن وماء سُخْن حتّى تَنْقَى منه المِعْدة وشَراب
الحُمّاض لهم في غاية النفع وانظر كلام العارف فيها
واحذر من افساد بَشَرتِك واتلاف اخلاقك باستعمالها
ولقد عهدناها وما يُرَى يتعاطيها الّا اراذلُ النّاس ومع
ذلك فيأنفون من انتسابهم لها لِما فيها من الشُّنْعة
وكان قد تتبّع الامير سودون الشيخوني رحمه الله الموضع
الذي يعرف بالجُنينة من ارض الطبّالة وبابَ اللوق وحكَرَ
واصلٍ ببولاق واتلف ما هنالك من هذه الشجرة
الملعونة وقبض على من كان يبلعها من اطراف الناس
وردالانهم وعاقب على فعلها بقَلْع الاضراس فقُلِع اضراسُ
كثير من العامّة في نحو سنة ثمانين وسبعمائة وما
برحت هذه الحشيشة تُعَدّ من القاذورات حتى قدم
سلطان

سلطان بغداد احمد بن أُوَيْس فارًّا من تيمور لَنْك الى القاهرة فى سنة خمس وتسعين وسبع مأية فتظاهر اصحابُه باكلها وشنَّع الناس عليهم واستقبحوا ذلك من فعلهم وعابوه عليهم فلمّا سافر من القاهرة الى بغداد خرج منها ثانيا واقام بدمشق مدّة فتعلّم اهلُ دمشق من اصحابه التظاهُر بها وقدم الى القاهرة شَخْص من مَلاحِدة العَجَم صنع الحشيشة بعسل خلَط فيها عِدّة اجزآء مجفّفة كعِرْق اللُّفّاح ونحوِهِ وسمّاها العُقْدة وباعها خفيةً ففشا اكلُها فى كثير من الناس مدّةَ اعوامٍ فلما كان من سنة خمس عشرة وثمان مأية شنع التجاهُر بالشجرة الملعونة واشتهر اكلها وظهر امرها وارتفع الاحتشام من الكلام بها حتّى لقد كادت ان تكون من تُحَف المُتْرَفين وبهذا السبب غلبت السَّفالة على الاخلاق وارتفع سِتْرُ الحَيآء والحِشْمة من بين الناس وجهروا بالسوء من القول وتفاخروا بالمعايب وانحطّوا عن كلّ شَرَف وفضيلة وتحلّوا بكلّ ذميمة من الاخلاق ورذيلة فلولا الشَّكْل لم تَقْضِ لهم بالانسانيّة ولولا

الحُسن

الحُسن لما حكَمتَ عليهم بالحيوانية وقد بَدَأَ المِسْخ فى الشمائل والاخلاق المُنْذَرُ بالظهور على الصُّوَر والدواب عافانا الله من بَلائه وارضُ الطبّالة الآن بيد وَرَثة الحاجِب،

انتهى ذكر ارض الطبّالة وحشيشة الفقرآء

ذكر تاريخ اليهود واعيادهم

قد كانت اليهود تُؤرّخ اوّلا بوفاة موسى عمّ ثم صارت تؤرّخ بتاريخ الاسكندر بن فلبش وشهور سنتهم اثنا عشر شهرا وايّام السنة ثلمأية واربعة وخمسون يوما فاما الشهور فانها تشرى مرحشوان كسلو طبت شبط ادار نيسن ايار سيوان تموز اب ايلول وايّام سنتهم ايّام سنة القمر ولو كانوا يستعملونها على حالها لكانت ايّامُ سنتهم وعدد شهورهم شيئا واحدا ولكنّه لمّا خرج بنو اسرايل من مصر مع موسى عمّ الى التيه وتخلّصوا من عذاب فرعون وما كانوا فيه من العبوديّة وابصروا بما أُمِروا به كما وُصِف فى السفر الثانى من التورية اتّفق ذلك

ذلك ليلة الخامس عشرَ من نيسَن والقمرُ تامّ الضوء
والزمنُ ربيع فأُمِروا بحفظ هذا اليوم كما قال في السفر
الثاني من التورية احفظوا هذا اليوم سُنّة لمخلوقكم
الى الدهر في اربعة عشر من الشهر الاوّل وليس يعني
بالشهر الاوّل هذا شهر تشري ولكنّه عنى به شهر
نيسن من اجل انهم اُمِروا ان يكون شهرُ الفاخ رأسَ
شهورهم ويكون اوّل السنة فقال موسى عَمّ للشعب
اذكروا اليوم الذي خرجتم فيه من التعبّد فلا
تاكلوا خميرا في هذا اليوم في الشهر الذي ينضر فيه
الشجر فلذلك اضطرّوا الى استعمال سنة الشمس ليقع
اليومُ الرابعُ عشرَ من نيسن في اوان الربيع حين تُورِق
الاشجار وتُزهِر الثمار والى استعمال القمر ليكون جرمه
فيه بدرًا تامّ الضوء في برج الميزان واحوجَهم ذلك
الى الحاق الايّام التي يتقدّم بها عن الوقت المطلوب
بالشهور اذ استُوفيت ايّامُ شهر واحد فالحقوها بها
شهرا واحدا فامّا سمّوه ادار الاوّل وسمّوا ادار الاصلي
ادار الثاني لانه ردف سمّيًّا له وتلاه وسمّوا السنة
الكبيسة

الكبيسة عبورا اشتقاقا من معبارت وهو المراة الحبلى بالعبرانية لانهم شبّهوا دخول الشهر الرائد فى السنه بحَمل المرأة ما لبس من حِملها ولهم فى إستخراج ذلك حسبانات كثيرة مذكورة فى الازياج وهم فى عمل الاشهر مفترقون فرقتين احداهما الربّانيّه واستعمالهم ايّاها على وجه الحساب بمسيرى الشمس والقمر الوسط سوآء رؤى الهلال ام لم يُر فان الشهر عندهم هو مدّة مفروضة تمضى من لدن الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر فى كل شهر وذلك انهم كانوا وقت عزّهم من الجالية ببابل الى بيت المقدّس ينصبون على رؤس الجبال ديادب ويقيمون رقباء للفحص عن الهلال والرموهم بوقود النار وتدخين دخان يكون علامة لحصول الرؤيه وكانت بينهم وبين السامرة العداوةُ المعروفة فذهبت السامرة ورفعوا الدخان فوق الجبل قبل الرؤية بيوم ووالوا بين ذلك شهورا اتّفق فى اوّلها ان السمآء كانت متغيّمة حتى فطِن لذلك من فى بيت المقدّس وراوا الهلال غداة اليوم الرابع او الثالث من الشهر مرتفعا عن الافق

الافق من جهة المشرق فعرفوا ان السامرة فتنتهم
فالتجأوا الى اصحاب التعاليم فى ذلك الزمان ليامنوا بما
يلقوه من حسابهم مكايدَ الاعدآء واعتلّوا لجواز العمل
بالحْساب وتباينه عن العمل بالرؤية بعلل ذكروها
فعمل اصحاب الحساب لهم الادوار وعلّموهم استخراج
الاجتماعات ورؤية الهلال وانكر بعض الربانية حديث
الرؤساء ورفعهم الدخان وزعم ان سبب استخراج هذا
الحساب هو ان علمآءهم علموا ان آخرَ امرهم الى الشتات
فخافوا اذا تفرقوا فى الاقطار وعوّلوا على الرؤية ان
تختلف عليهم فى البلدان المختلفة ويتشاجروا ولذلك
استخرجوا هذه الحسابات واعتنى بها العازر بن فروح
وامروهم بالتزامها والرجوع اليها حيث كانوا والفرقة
الثانية هم المبلادية الذين يعملون مبادى الشهور من
الاجتماع ويسمّون العرا والاشمعية لانهم يراعون العمل
بالنصوص دون الالتفات الى النظر والقياس ولم يزالوا
على ذلك الى ان قدم عانان راس الجالوت من بلاد المشرق
فى نحوِ الاربعين ومأية من الهجرة الى دار السلام
فاستعمل

فاستعمل الشهور برؤية الاهلّة على مثل ما شُرع فى
الاسلام ولم يبالِ اىَّ يوم وقع فى الاسبوع وترك حساب
الربّانيّين وكبس الشهور بان نظر كل سنة الى زرع الشعير
بنواحى العراق والشام فيما بين اوّل شهر نيسن الى
ان يمضى منه اربعة عشر يوما وان وجد باكورة
تصلح للفريك وللحصاد ترك السنة بسيطة وان وجده
لم يصلح لذلك كبسها حينئذ وتقدِمة المعرفة بهذه
الحالة ان من اخذ برأيه يخرج لتسعة تبقىَ من شبط
فنظر بالشام والبقاع المشابهة له فى المزاج الى زرع
الشعير فان وجد السفا وهو شوك السنبل قد طلع عدّ
منه الى الفائح خمسين يوما وان لم يرَه طالعا كبسها
بشهر فبعضهم يردف الكبس بشبط فيكون فى السنة
شبط وشبط مرّتين وبعضهم يردفه باذار فيكون اذار
واذار من السنة مرّتين واكثرُ استعمالِ العانانية لشبط
دون اذار كما ان الربّانية تستعمل اذار دون غيره
فمن يعتمد من الربّانية فى عمل الشهور بالحساب يقول
ان شهر تشرى لا يكون اوّله يومَ الاحد والاربعآء
وعدّته

وعدّته عندهم ثلاثون يوما ابدا ومنه عيد راس السنة
وهو عيد البشارة بعتق الارقّآء وهذا العيد فى اوّل
يوم منه ولهم ايضا فى اليوم العاشر منه صوم الكبور
ومعناه الاستغفار وعند الربّانين ان هذا الصوم لا
يكون ابدا لا الاحد ولا الثلاثآء ولا الجمعة وعند من
يعتمد فى الشهور الرؤية ان ابتدآء هذا الصوم من
غروب الشمس فى ليله العاشر الى غروبها من ليلة الحادى
عشر وذلك اربع وعشرون ساعة والربّانيون يجعلون
مدّة الصوم خمسا وعشرين ساعة الى ان يشتبك النجوم
ومن لم يصم منهم هذا الصوم قُتل شرعا وهم يعتقدون
ان الله يغفر لهم فيه جميع الذنوب ما خلا الزنآء
بالمحصَنات وظلم الرجل اخاه وجحد الربوبية ومنه ايضا
عيد المظلّة وهو سبعة ايّام يعيدون فى اوّلها ولا
يخرجون من بيوتهم كما هو العمل يوم السبت ومدّة
ايّام المظلّة الى آخر يوم الثانى والعشرين تمام سبعة
ايّام واليوم الثامن يقال له عيد الاعتكاف وهم يجلسون
فى هذه الايّام السبعة التى اوّلها خامسُ عشرَ تشرى
تحت

تحت ظلال سعف النخل الاخضر واغصان الزيتون ونحوها من الاشجار التى لا يتناثر ورقها على الارض ويرون ان ذلك تذكارٌ منهم لإظلال الله ايّاهم فى التيه بالغمام ومنه ايضا عند الفرائشّين خاصّة صوم فى اليوم الرابع والعشرين منه يعرف بصوم كدليا وعند الربّانيّين يكون هذا الصوم فى ثالثه وشهر مرحشوان ربّما كان ثلاثين يوما وربّما كان تسعة وعشرين يوما وليس فيه عيد وكسليو ربّما كان ثلثين يوما وربّما كان تسعة وعشرين وليس فيه عيد الا ان الربّانيّين يسرجون على ابوابهم ليلة الخامس والعشرين منه وهو مدّة ايّام يسمّونها الحُنُكة وهو امر محدَث عندهم وذلك ان بعض الجبابرة تغلّب على بيت المقدّس وقتل من كان فيه من بنى اسرايل وافتضّ ابكارهم فوثب عليه اولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله اصغرهم وطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا الا يسيرا وزّعوه على عدد ما يوقدونه من السرج فى كل ليلة الى ثمانى ليالى فاتّخذوا هذه الايّام عيدا وسمّوها ايّام الحنكة وهى كلمة

كلمة مأخوذة من التنطيف لانهم نظّفوا فيها الهيكل من اقذار اشياع ذلك الجبّار والقرا لا يعملون ذلك لانهم لا يعوّلون على شيء من امر البيت الثاني وشهر طبث عدّة ايّامه تسعة وعشرون يوما وفي عاشره صوم سببه ان في هذا اليوم كان ابتداء محاصرة بخت نصّر لمدينة بيت المقدّس ومحاصرة طيطش لها ايضا في الخراب الثاني وشبط ايّامه ابدا ثلاثون يوما وليس فيه عيد وشهر ادار كما تقدّم عند الربّانيين يكون مرّتين في كل سنة فادار الاوّل عدد ايّامه ثلاثون يوما ان كانت السنة كبيسة وان كانت بسيطة فايّامه تسعة وعشرون وليس فيه عيد عندهم وادار الثاني ايّامه تسعة وعشرون يوما ابدا وفيه عيد الربّانيين صوم البور في اليوم الثالث عشرَ منه والبور في اليوم الرابع عشرَ واما القرا فليس عندهم في السنة شهر ادار سوى مرّة واحدة ويجعلون صوم البور في ثالث عشره وبعده الى الخامس عشرَ وهذا ايضا محدث وذلك ان بخت نصّر لما جلا بني اسرائل من بيت المقدّس وخربه

ساقهم

سافهم جالبة الى العراق واسكنهم فى مدينة حى التى يقال لها اصبهان فلما ملك اردشير بابك ملك الفُرس وتسمّيه اليهود احشوارش كان له وزير يسمّى هيمون وكان لليهود حينئذ حبر يقال له مردوخاى فبلغ اردشير انّ له ابنةَ عمّ جميلة الصورة فتزوّجها وحظيت عنده واسندنى مردوخاى ابن عمّها وقرّبه فحسده هيمون الوزير وعمل على هلاكه وهلاك اليهود الذين كانوا فى مملكة اردشير ورتّب مع نوّاب اردشير فى سائر اعماله ان يقتلوا كل يهودى عندهم فى يوم عيّنه لهم وهو الثالثُ عشرَ من ادار فبلغ ذلك مردوخاى فاعلمَ ابنة عمّه بما دبّره الوزير وحثّها على إعمال الحيله فى تخليص قومها من الهلكة فاعلمت اردشير بحسد الوزير لمردوخاى على قُربه من الملك واكرامه وما كتب به الى العمّال من قتل اليهود وما زالت تغريه على الوزير الى ان امر بقتله وقتل اهله وكتب الى اليهود امانا فاتّخذ اليهود هذا اليوم من كل سنة عيدا وصاموه شكرا لله وجعلوا من بعده يومين اتّخذوهما ايّام فرح وسرور

وسرور ومهاداة من بعضهم لبعض وهم على دلك الى البوم
وربّما صوّر بعضهم فى هدا اليوم صورة هيمون الوزير
ويسمّونه هامان واذا صوّروه الفوه بعد العبث به فى
النار حتى يحترق   وشهر نيسن عدد ايّامه ثلاثون
يوما ابدا وفيه عيد الفاسح الدى يعرف اليوم عند
النصارى بالفصح ويكون فى الخامس عشرَ منه وهو سبعة
ايّام ياكلون فيها الفطير ويطّهّرون بيوتهم من اجل
ان الله سبحانه خلّص بنى اسرايل من اسر فرعون فى
هذه الايّام حين خرجوا من مصر مع نبى الله موسى
ابن عمران عمّ وتبعهم فرعون فاغرقه الله ومن معه
وسار موسى بنى اسرايل الى التيه ولما خرجوا من مصر
مع موسى كانوا ياكلون اللحم والخبز الفطير وهم فرحون
بخلاصهم من يد فرعون فامِروا باتّخاد الفطير وعمله فى
هذه الايّام ليذكروا به ما منّ الله عليهم به من
انقاذهم من العبودية وفى آخر هذه الايّام السبعة كان
غرق فرعون وهو عندهم يوم كبير ولا يكون اوّلُ هدا
الشهر عند الربانيين ابدا يومَ الاثنين ولا يومَ الاربعاء

 ولا

ولا سوم الجمعة وبكون اوّلُ الخمسنات من نصفه وشهر ابار عدد ايامه تسعه وعشرون يوما وفيه عيد الموقف وهو حجّ الاسابيع وهي الاسابيع التى فُرِضت على بنى اسرايل فيها الفرائض ويقال لهذا العيد فى زمننا عيد العنصرة وعيد الخطاب ويكون بعد عيد الفطر وفيه خوطب بنو اسرايل من طور سينا ويكون هذا العيد فى السادس منه وفيه ايضا يوم الخمسين وهو اخر الخمسنات ولا يكون عيدُ العنصرة عند الربانيين ابدا يومَ الثلاثاء ولا يوم الخميس ولا يوم السبت وشهر تمّوز ايّامه تسعة وعشرون يوما وليس فيه عيد لكنّهم يصومون فى تاسعه لانه فيه هُدِم سور بيت المقدّس عند محاصرة بخت نصّر له والربانيون خاصّة يصومون يوم السابعِ عشرَ منه لان فيه هدَم طيطس سور بيت المقدّس وخرّب البيت الخرابَ الثانى وشهر آب ثلثون يوما وفيه عيد القرائين صوم فى اليوم السابع واليوم العاشر لان البيت المقدّس خرِب فيهما على يد بخت نصّر وفيه ايضا كان اطلاق بخت نصّر النارَ فى مدينة القدس،

القدس وفى الهيكل ونصوم الرباءسون اليوم التاسع منه
لان فيه حرّب البيت على يد طيطش للخراب
الثانى وشهر ايلول تسعه وعشرون يوما ابدا وليس
فيه عيد والله اعلم ۞ ذكر اصل معتقد
اليهود وكيف وقع عندهم التبديل اعلم
ان الله سبحانه لما انزل التورية على نبيّه موسى
عم ضمّنها شرائع الملّة الموسوية وامر فيها ان يُكتَب
لكل من يلى امر بنى اسرايل كتاب يتضمّن احكام
الشريعة لينظر فيه ويعمل به وسمّى هذا الكتاب
بالعبرانية مشنا ومعناه استخراج الاحكام من النصّ
الالهى وكتب موسى عم بخطّ يده مشنا كانه تفسير
لما فى التورية من الكلام الالهى فلما مات موسى عم
وقام من بعده بامر بنى اسرايل يوشع بن النون ومَن
بعدَه الى ان كانت ايّام يهياخيم ملك القدس غزاهم
بخت نصّر الغزوة الاولى وهم يكتبون لكل من ملكهم
مشنا ينقلونها من المشنا التى بخطّ موسى ويجعلونها
باسمه فلما جلا بخت نصّر يهياحم الملك ومعه اعيان

بنى

بنى اسرايل وكبرآءهم ببيت المقدّس وهم زيادة على
عشرة آلاف ساروا ومعهم نسخ المشنا التى كنت
لسائر ملوك بنى اسرايل باجمعها الى بلاد الشرق فلما
سار بخت نصّر من بابل الكرّة الثانية لغزو القدس
وخرّبه وجلا من فيه وفى بلاد اسرايل من الاسباط
الاثنى عشر الى بابل اقاموا بها وبقى القدس خرابا لا
ساكنَ فيه مدّةَ سبعين سنة ثم عادوا من بابل بعد
سبعين سنة وعمّروا القدس وجدّدوا بناء البيت
ومعهم جميع نسخ المشنا التى خرجوا بها اوّلا فلما
مضت من عمارة البيت الثانى بعد الخالية نلثمائة
ونيف من السنين اختلف بنو اسرايل فى دينهم اختلافا
كثيرا فخرج طائفة من آل داود عمّن من بيت المقدّس
وساروا الى الشرق كما فعل آباؤهم اوّلا واخذوا معهم
نسخا من المشنا التى كنت للملوك من مشنا موسى
التى بخطّه وعملوا بما فيها ببلاد الشرق من حين خرجوا
من القدس الى ان جآء الله بدين الاسلام وقدم
عانان راس الجالوت من المشرق الى العراق فى خلافة

امر

امىر المومنىن ابى جعفر المنصور سنة ستّ وثلــثــون ومأيه من سنى الهجرة المحمّديه   وامّا الدين اقاموا بالقدس من بنى اسرايل بعد خروج من ذكريا الى الشرق من آل داود فانهم لم يزالوا فى افتراق واختلاف فى دينهم الى ان غزاهم طيطش وخرّب القدس الخراب الثانى بعد قتل يحيى بن زكريا ورفع المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام وسبا جميع من فيه وفى بلاد بنى اسرايل باسرهم وغيّب نسخ المشنا التى كانت عندهم بحيث لم يبقَ معهم من كتب الشريعه سوى التوريه وكتب الانبياء وتفرّق بنو اسرايل من وقت تخريب طيطش القدس فى اقطار الارض وصاروا ذمّة الى يومنا هذا ثم ان رجلين ممّن تاخّر الى قبيل تخريب القدس يقال لهما شماى وهلال نزلا مدينة طبريه وكتبا كتابا سمّياه مشنا باسم مشنا موسى عمّ وضمّنا هذا المشنا الذى وضعاه احكامَ الشريعه ووافقهما على ذلك عدّة من اليهود وكان شماى وهلال فى زمان واحد وكانا فى اواخر مدّة البيت الثانى وكان لهلال ثمانون

ثمانون تلميذا اصغرهم يوحانان بن زكاى وادرك يوحانان
ابن زكاى خراب البيت الثانى على يد طيطس وهلال
وشماى اقوالهما مذكورة فى المشنا وهى فى ستّة اسفار
تشتمل على فقه التوراة واما رتّبها النوسى من ولد
داوُد النبى بعد تخريب طيطس للقدس بمأية وخمسين
سنه ومات شماى وهلال ولم يكملا المشنا فاكمله
رجل منهم يعرف بيهودا من ذرّيّة هلال وحمل اليهود
على العمل بما فى هذا المشنا وحقيقته انه يتضمّن
كثيرا ممّا كان فى مشنا النبى موسى عمّ وكثيرا من
آراء اكابرهم فلما كان بعد وضع هذا المشنا بنحو
خمسين سنة قام طائفة من اليهود يقال لهم السنهدرين
ومعنى ذلك الاكابر وتصرّفوا فى تفسير هذا المشنا
برأيهم وعملوا عليه كتابا اسمه التلمود اخفوا فيه
كثيرا مما كان فى تلك المشنا وزادوا فيه احكاما من
رأيهم وصاروا منذ وضع هذا التلمود الذى كتبوه
بايديهم وضمّنوه ما هو برأيهم ينسبون ما فيه الى الله
تعالى ولذلك ذمّهم الله تعالى فى القرآن الكريم بقوله

فويل

فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما
كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وهذا التلمود
نسختان مختلفتان فى الاحكام والعمل الى اليوم على
هذا التلمود عند فرقة الربانيين بخلاف القرائيين
فانهم لا يعتقدون العمل بما فى هذا التلمود فلما قدم
عانان راس الجالوت الى العراق انكر على اليهود عملهم
بهذا التلمود وزعم ان الذى بيده هو الحق لانه
كتب من النسخ التى كتبت من مشنا موسى الذى
بخطه والطائفة الربانيون ومن وافقهم لا يعوّلون من
التورية التى بايديهم الا على ما فى التلمود وما خالف
ما فى التلمود لا يعبأون به ولا يعوّلون عليه كما اخبر
الله تعالى اذ يقول حكايةً عنهم انّا وجدنا آباءنا على
أُمّة وانّا على آثارهم مقتدون ومن اطلع على ما بايديهم
وما عندهم فى التورية تبيّن له انهم ليسوا على شىء
وانهم يتّبعون الظنّ وما تهوى الانفس ولذلك لما نبغ
فيهم موسى بن ميمون القرطبى عوّلوا على رأيه وعملوا
بما

مما فى كتاب الدلاله وغيرها من كتبه وهم على رايه الى زمننا ۞ ذكر فِرَق اليهود الآن اعلم ان اليهود الذين قطّعهم الله فى الارض أُمما اربعُ فرق كل فرقه تخطّئُ الطوائف الأُخَر وهى طائفه الربانيين وطائفه القرائين وطائفه العنانيه وطائفه السمرة وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب بيت مقدّم القدس وعودهم من ارض بابل بعد الجالية الى القدس وعمارة البيت ثانيا وذلك انهم كانوا فى اقامتهم بالقدس ايّامَ العمارة الثانيه افترقوا فى دينهم وصاروا شِيَعا فلما ملكهم اليونان بعد الاسكندر بن فليس وقام بامرهم فى القدس هورقانوس بن شمعون بن متتيا واستقام امره تسمّى ملكا وكان قبل ذلك هو وجميع من تقدّمه ممّن ولى امر اليهود فى القدس بعد عودهم من الجالية انمّا يقال له الكوهن الاكبر فاجتمع لهورقانوس منزله الملك ومنزله الكهنه واطمأنّ اليهود فى ايّامه وأَمِنوا سائرَ اعدآئهم من الامم فبطِروا معيشتَهم واختلفوا فى دينهم وتعادَوا بسبب الاختلاف وكان من جمله فرقهم

اذ ذاك

- اذداك طائفه يقال لهم القروشيم ومعناهم المعتزلة ومن
مذهبهم القول بما فى التورية على معنى ما فسّره
الحكمآء من اسلافهم وطائفه يقال لها الصدوقيه نسبوا
الى كبير لهم يقال له صدوق ومذهبهم القول بنصّ
التوريه وما دلّ عليه القولُ الالاهى منها دون ما عداه
من الاقوال وطائفه يقال لها الحَسيديم ومعناه الصلحآء
ومذهبهم الاشتغال بالنسك وعبادة الله سبحانه والاخذ
بالافضل والاسلم فى الدين وكانت الصدوقيه تُعادى
المعتزله عداوة شديدة وكان الملك هورقانوس اوّلا
على رأى المعتزله وهو رأى آبآئه ثم انه رجع الى
مذهب الصدوقيه وباين المعتزلةَ وعاداهم ونادى فى
جميع مملكته بمنع الناس جملة من تعلّم رأى المعتزله
والاخذ عن احدهم وتتبّع بهم وقتل منهم كثيرا
وكانت العامّه باسرها مع المعتزله فثارت الشرور بين
اليهود واتّصلت الحروب عندهم وقتل بعضهم بعضا
الى ان خرِّب البيت على يد طيطس الخرابَ الثانى بعد
رفع عيسى صلوات الله عليه وتفرّق اليهود من حينئذ

فى اقطار الدنيا وصاروا ذمّة والنصارى نقتلهم حيث ما ظفرت بهم الى ان جآء الله بالملّة الاسلاميه وهم فى تعرّفهم ثلث فرق الربانيون والقُرّآء والسمرة وامّا الربانية فيقال لهم بنو مشنو ومعنى مشنو الثانى وقيل لهم ذلك لانهم يعتبرون امر البيت الذى بُنى ثانيا بعد عودهم من الجالية وخرّبه طيطش ويُنزلونه فى الاحترام والاكرام والتعظيم منزلة البيت الاوّل الذى ابتدأ عمارته داوُد واتمّه ابنه سليمن عليهما السلام وخرّبه بخت نصّر فصار كانّه يقال لهم اصحاب الدعوة الثانية وهذه الفرقة هى الّتى كانت تعمل بما فى المشنا التى كتبت بطبرية بعد تخريب طيطش للقدس وتُعوّل فى احكام الشريعه على ما فى التلمود الى هذا الوقت الذى نحن فيه وهى بعيدة من العمل بالنصوص الالاهية متّبعه لآرآء من تقدّمها من الاحبار ومن اطّلع على حقيقه دينها تبيّن له ان الذى ذمّهم الله به فى القرآن الكريم حقّ لا مِرْية فيه وانه لا يصحّ لهم من اسم اليهوديه الا مجرّد الاسمآء فقط لا انهم فى الاتّباع على

على الملّه الموسويه سيّما منذ ظهرَ فيهم موسى بن ميمون القرطبى بعد الخمسمأية من سنى الهجرة المحمّديه فانه ردّهم مع ذلك معطّله فصاروا فى اصول دينهم وفروعه ابعَدَ الناسِ عمّا جآء به انبيآء الله تعالى من الشرائع الالهيه واما القرآء فانهم بنو مقرا ومعنى مقرا الدعوة وهم لا يعوّلون على البيت الثانى جملةً ودعونهم انّما هى لما كان عليه العمل مدّةَ البيت الاوّل وكانّه يقال لهم اصحاب الدعوة الاولى وهم يُحكمون نصوص التوريه ولا يلتفتون الى قول مَن خالفها ويقفون مع النصّ دون تقليد من سلف وهم مع الربانيين من العداوة بحيث لا يتناكحون ولا يتجاورون ولا يدخل بعضهم كنيسة بعض ويقال للقرآئين ايضا المِلاديه لانهم كانوا يعملون مبادئَ الشهور من الاجتماع الكائن بين الشمس والقمر ويقال لهم ايضا الاشمعيه لانهم يراعون العمل بنصوص التوريه دون العمل بالقياس والتقليد واَمّا العانانيه فانهم ينتسبون الى عانان راس الجالوت الذى قدم من الشرق فى ايّام الخليفة ابى جعفر المنصور

المنصور ومعه نسخ المشنا الذى كتب من خطّ النبى موسى عليه السلام وانه راى ما عليه اليهود من الربانيين والقرّائين يخالف ما معه فتجرّد لخلافهم وطعن عليهم فى دينهم وازرأ بهم وكان عظيما عندهم يرون انه من ولد داوُد عمّ وعلى طريق فاضله من النسك على مقتضى ملّتهم بحيث يرون انه لو ظهر فى ايّام عمارة البيت لكان نبيّا فلم يقدروا على مناصبته لما اوتى مع ما ذكرنا من تقريب الخليفه له واكرامه وكان ممّا خالف فيه اليهودَ استعمالُ الشهور برويه الاهلّة على مثل ما شُرع فى الملّة الاسلاميه ولم يبالِ فى ايّ يوم وقع من الاسبوع وترك حساب الربانيين وكبس الشهور وخطّأهم فى العمل بذلك واعتمد على كشف زرع الشعير واجمل القول فى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واثبت نبوّة محمّد صلعم وقال هو نبيّ ارسل الى العرب الّا ان التوريه لم تنسخ والحقّ انه ارسل الى الناس كافّة ۞

ذكر السمرة اعلم ان طائفه السمرة ليسوا من بنى اسرائيل البتّة وانما هم قوم قدموا من المشرق وسكنوا

فى

فى بلاد الشام ويهوّدوا ويقال انهم من بنى سامرك بن
كفركا بن رى وهو شعب من شعوب الفُرس خرجوا
الى الشام ومعهم الخيل والغنم والابل والقسى والنشّاب
والسيوف والوشى ومنهم السمرة الذين تعرّفوا فى البلاد
ويقال ان سليمن بن داوُد لما مات افترق ملك بنى
اسرايل من بعده وصار رحبعام بن سليمن على بنى
يهودا بالقدس وملك يربعام بن نباط عشرة اسباط من
بنى اسرايل وسكن خارجا عن القدس واتّخذ عجلين
دعا الاسباط العشرة الى عبادتهما من دون الله الى ان
مات فولى ملك بنى اسرايل من بعده عدّة ملوك على
مثل طريقته فى الكفر بالله وعبادة الاوثان الى ان ملكهم
عمرى بن نداب من سبط منشا بن يوسف فاشترى
مكانا من رجل اسمه شامر بقنطار فضّة وبنى فيه قصرا
وسمّاه باسم اشتقّه من اسم شامر الذى اشترى منه
المكان وصيّر حول هذا القصر مدينة وسمّاها مدينة
شمرون وجعلها كرسىّ ملكه الى ان مات فاتّخذها
ملوك بنى اسرايل من بعده مدينة الملك وما زالوا
فيها

فيها الى ان ولى هوشاع بن ايلا وهم على الكفر بالله وعبادة وثن بعلا وغيره من الاوثان مع قتل الانبيآء الى ان سلّط الله عليهم سنحاريب ملك الموصل فحاصرهم بمدينة شمرون ثلاث سنين واخذ هوشاع اسيرا وجلاه ومعه جميع من في شمرون من بني اسرايل وانزلهم بهرام وبلخ ونهاوند وحلوان فانقطع من حينئذ ملك بني اسرايل من مدينة شمرون بعد ما ملكوا من بعد سليمن عليه السلام مدّة ماينى سنة واحدى وخمسين سنة ثم ان سنحاريب ملك الموصل نقل الى شمرون كثيرا من اهل كوثا وبابل وحماة وانزلهم فيها ليعمّروها فبعثوا اليه يشكون من كثرة هجوم الوحش عليهم بشمرون فسيّر اليهم من علّمهم التورية فتعلّموها على غير ما يجب وصاروا يقرؤنها ناقصة اربعة احرف الالف والهآء والحآء والعين ولا ينطقون بشيء من هذه الاحرف في قرآءتهم التورية وعُرفوا بين الامم بالسامرة لسكناهم مدينة شمرون هذه وشمرون هي مدينة نابلس وقيل لها شمرون بشين مهمله ولسكّانها سامرة وقيل معنى السمرة

السمرة حفظه ونواطير فلم تزل السمرة بنابلس الى ان
غزا بخت نصّر القدس وجلا اليهود منه الى بابل ثم
عادوا بعد سبعين سنه وعمّروا البيت ثانيا الى ان قام
الاسكندر من بلاد اليونان وخرج يريد غزو القدس
وخرج منه يريد عمّان فاجتاز على نابلس وخرج اليه
كبير السمرة بها وهو سنبلاط السامرى فانزله وصنع
له ولقوّاده وعظمآء اصحابه صنعا عظيما وحمل اليه
اموالا جمّة وهدايا جليلة واستاذنه فى بنآء هيكل لله
على الجبل الذى يسمّى عندهم طور بريك فاذن له وسار
الى محاربة دارا ملك الفرس فبنى سنبلاط هيكلا شبيها
لهيكل القدس ليستميل به اليهود وموّه عليهم بان
طور بريك هو الموضع الذى اختاره الله تعالى وذكره
فى التورية بقوله فيها آجعَلِ البركة على طور بريك
وكان سنبلاط قد زوّج ابنته بكاهن من كهّان بيت
المقدّس يقال له منشا فمقت اليهودُ منشا على ذلك
وابعدوه وحطّوه عن مرتبته عقوبةً له على مصاهرته
سنبلاط فاقام سنبلاط منشا زوج ابنته كاهنا فى هيكل

طور

طور بربك واتنه طوائف من اليهود وصلّوا به وصاروا يحجّون الى هيكله فى الاعياد ويقرّبون قرابينهم فيه ويحملون اليه ندورهم واعشارهم وتركوا قدس الله وعدلوا عنه فكثرت الاموال فى هذا الهيكل الى ان صار ضدّ البيت المقدّس واستغنى كهنته وخدّامه وعظم امر منشا وكثرت حاله فلم تزل هذه الطائفة تحجّ الى طور بريك حتى كان زمن هورقانوس بن شمعون الكوهن من بنى حشمناى فى بيت المقدّس وسار الى بلاد السمرة ونزل على مدينة نابلس وحصرها مدّة واخذها عنوة وخرّب هيكل طور بربك الى آساسه وكانت مدّة عمارته مأتى سنة وقتل من كان هناك من الكهنة فلم تزل السمرة بعد ذلك الى يومنا هذا تستقبل فى صلاتها حيث ما كانت من الارض طور بريك جبل نابلس ولهم عادات تخالف ما عليه اليهود ولهم كنائس فى كل بلد تخصّهم والسمرة ينكرون نبوّة داوٗد ومن تلاه من الانبيآء وابوا ان يكون بعد موسى عـم نبىّ وجعلوا روٗسآءهم من بنى هرون عـم واكثرهم يسكن مدينة نابلس وهم

كثير

كثير فى مدائن الشام ويذكر انهم الذين يقولون
لا مساسَ ويزعمون ان نابلس هى بيت المقدّس
وهى مدينة يعقوب عليه السلام وهناك مراعيه وذكر
المَسْعودى ان السامرة صنفان متباينان احدهما يقال
له الكوشان والآخرْ الروشان احد الصنفين يقول بقَدْم
العالم والسامرة تزعم ان التورية التى فى ايدى اليهود
ليس التورية التى اوردها موسى عليه السلام ويقولون
توربة موسى حرّفت وغيّرت وبدّلت وان التورية هى ما
بايديهم دون غيرهم قال ابو ريحان محمّد بن احمد
البيروى ان السامرة تُعرَف باللامساسية قال وهم الابدال
الذين بدّلهم بخت نصّر بالشام حين اسر اليهود
واجلاها وكانت السامرة اعانوه ودلّوه على عورات بنى
اسرائيل فلم يحرّكهم ولم يقتلهم ولم يسبِهم وانزلهم فلسطين
من تحت يده ومذاهبُهم ممزجة من اليهوديّة والمجوسيّة
وعامّتهم يكونون بموضع من فلسطين يسمّى نابلس وبها
كنائسهم ولا يدخلون حدّ بيت المقدّس منذ ايّام
داؤد النبى عليه السلام لانهم يدّعون انه ظلم واعتدى

وحوّل

وحوّل الهيكل المقدّس من نابلس الى ايليا وهو بيت·
المقدّس ولا يمسّون الناس واذا مسّوهم اغتسلوا ولا
يقرّون بنبوّة من كان بعد موسى عليه السلام من انبياء بنى
اسرايل، وفى شرح الانجيل ان اليهود انقسمت بعد
ايّام داوُد الى سبع فرق الكتّاب وكانوا يحافظون على
العادات التى اجمع عليهن المشايخ ممّا ليس فى التوريه
المعتزله وهم الفروشيم وكانوا يظهرون الزهد ويصومون
يومين فى الاسبوع ويخرجون العشر من اموالهم ويجعلون
خيوط القرمز فى رؤس ثيابهم ويغسلون جميع اوانيهم
ويبالغون فى اظهار النظافه والزيادقه وهم من جنس
السامره وهم من الصدوقيّه فيكفرون بالملائكه والبعث
بعد الموت وجميع الانبياء ما خلا موسى فقط فانها تقرّ
بنبوّته والمتطهّرون وكانوا يغتسلون كل يوم ويقولون
لا يستحقّ حيوة الابد الا من يتطهّر كل يوم والاسابيون
ومعناه الغلاظ الطباع وكانوا يوجبون جميع الاوامر
الالاهيه وينكرون جميع الانبياء سوى موسى عم ويفسدون
بكتب غير الانبياء والمتقشّفون وكانوا يمنعون
المآكل

المآكل وخاصّة اللحم ويمنعون من التزوج بحسب
الطاقة ويقولون بان التورية ليست كلها لموسى
رتمسّك بصُحُف منسوبة الى خنوخ وابرهيم عليهما السلام
وينظرون فى علم النجوم ويعلّمون بها والهيرودسيون
سمّوا انفسهم بذلك لموالاتهم هيرودس ملكهم
وكانوا يتّبعون التورية ويعملون بما فيها، انتهى، وذكر
يوسف بن كريون فى تاريخه ان اليهود كانوا
فى زمن ملكهم هورقانوس يعنى فى زمن بناء البيت
بعد عودهم من الجالية ثلاث فرق الفروشيم ومعناه
المعتزلة ومذهبهم القول بما فى التورية وما فسّره الحكمآء
من سلفهم والصدوقية اصحاب رجل من العلمآء يقال
له صادوق مذهبهم القول بنصّ التورية وما دلّت عليه
دون غيره والحسديم ومعناه الصلحآء وهم المشتغلون
بالعبادة والنسك الآخذون فى كل امر بالافضل والاسلم
فى الدين، انتهى، وهذه الفرقة هى اصل فرقتى الربانين
والقرّآء، فصل زعم بعضهم ان اليهود غانانية ونسبة
الى شمعون الصديق ولى القدس عند قدوم الاسكندر

شمعونية وجالوتيه وفيّوميه وسامريه وعكبريه واصبهانيه وعراقية ومغاربه وشرشانيه وفلسطينيه ومالكية وربانيه ، فالعانانيه يقول بالتوحيد والعدل ونفي التشبيه واشمعث نشتّه وسائر الجالوتيه في التشبيه فاما الفيّوميه فانها تنسب الى ابن سعيد الفيّومي وهم يفسّرون التوريه على الحروف المقطّعه والسامره ينكرون كثيرا من شرائعهم ولا يقرّون نبوّة من جاء بعد يوشع والعكبريه اصحاب ابي موسى البغدادي العُكبري واسمعيل العكبري يخالفون اشياء من السبت وتفسير التوريه والاصبهانيه اصحاب ابي عيسى الاصبهاني وادّعى النبوّة وانه عرج الى السمآء فمسح الربُّ على راسه وانه راى محمّدا صلّى الله عليه وسلّم فآمن به ويزعم يهود اصبهان انه الدجّال وانه يخرج من ناحيتهم والعراقيه تخالف الخراسانيه في اوقات اعيادهم وعدد ايّامهم والشرشانيه اصحاب شرشان زعم انه ذهب من التوريه ثمانون اسوقه اى آيه وادّعى للتوريه تاويلا باطنا مخالفا للظاهر واما يهود فلسطين فزعموا ان العزير ابن الله تعالى وانكر اكثرُ اليهود ذلك والمالكيه

يزعم

تزعم ان الله تعالى لا يحيى يوم القيامة من الموتى الا
من احتج عليه بالرسل والكتب ومالك هذا هو تلميذ
عانان والرباسة تزعم ان الحائض اذا مسّت ثوبا بين ثياب
وجب غسل جميعها والعرافية تعمل رؤس الشهور
بالاهلة وآخرون يعملون بالحساب والله تعالى اعلم ۞

انتهى ما نقلته من كتاب المواعظ
والاعتبار في ذكر الخطط
والآثار لتقيّ الدين
المقريزي

من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر
فى ايّام العرب والبربر ومَن عاصَرهم
من ذوى السلطان الاكبر
لعبد الرحمن بن محمّد بن خلدون
الحضرمى

من المقدّمة فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع بما يعرض للمؤرّخين من المغالط والاوهام وذكر شىء من اسبابها

اعلم ان فنَّ التاريخ فنٌّ عزيز المذهب جمّ الفائدة شريف الغاية اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم فى اخلاقهم والانبيآء فى سِيَرهم والملوك فى دُوَلهم وسياستهم حتى تتمّ فائدة الاقتدآء فى ذلك لمن يرومه فى احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى مآخذ متعدّدة ومعارف

متنوّعة

مسوّعه وحسنِ نطر وىـثـتـبٍ يُعصان بصاحبهما الى الحقّ وبكّبان به عن المزلّات والمعالط لان الاخبار اذا اعتُمد فيها مجرّدُ النقل ولم تُحكَّم اصولُ العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال فى الاجتماع الانسانى ولا [illegible] العائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربمّا لم يؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحيد عن جادّة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وائمّه النقل المعالطُ فى حكايات الوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غثّا او سمينا لم يَعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الاخبار فضلّوا عن الحقّ وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط سيّما فى احصاء الاعداد والاموال والعساكر اذا عرضت فى الحكايات اذ هى مظنّة الكذب ومطيّة الهذر ولا بدّ من ردّها الى الاصول وعرضها على القواعد ،

ومن الحكايات المدخولة للمؤرّخين ما ينقلونه كافّة فى سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصّة العبّاسة اخته

مع

مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وانّه لكلفه بمكانهما من معاقرته ايّاهما الخمرَ اذن لهما فى عقد النكاح دون الخلوة حرصًا على اجتماعهما فى مجلسه وان العبّاسه تحيّلت عليه فى التماس الخلوة به لما شغفها من حبّه حتى واقعها فى حالة سكر فحملت ووُشى بذلك للرشيد فاستغضب وهيهات ذلك من منصب العبّاسه فى دينها وابويها وجلالها وانها بنت عبد الله بن عبّاس ليس بينها وبينه الّا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملّه من بعده العبّاسهُ بنت محمّد المهدىّ بن عبد الله ابى جعفر المنصور بن محمّد السجّاد بن على ابى الخلفآء بن عبد الله ترجمان القرآن بن العبّاس عمّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بنت خليفه اخت خليفه محفوفه بالملك العزيز والخلافه النبويّه وصحبة الرسول وعمومته وامامة الملّة ونور الوحى ومهبط الملائكه من سائر جهاتها قريبه عهد ببداوة العروبيّة وسذاجة الدين البعيده عن عوائد الترف ومراتع الفواحش فاين يُطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها

او ابن توجد الطهارة والزكآء اذا فُقد من نسبها وكيف تُلحِم نسبَها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربى بمولى من موالى العجم بملك جدّه من الفرس او بولاءٌ جدُّها من عمومة الرسول واشراف قريش وغايتُه أنْ جذبت دولتُهم بضَبْعه وضَبْع ابيه واستخلصتهم ورقّتهم الى منازل الشريف وكيف يسوغ من الرشيد ان يُصْهِر الى موالى الاعاجم على بُعد همّته وعظم إبآئه ولو نظر المتامّل فى ذلك نظر المُنْصِف وقاس العبّاسة بابنة ملك من اعاظم ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها وفى سلطان قومها واستنكره ولجّ فى تكذيبه واين قدر العبّاسة والرشيد من الناس، وانما نكبة البرامكةَ ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم اموالَ الجباية حتّى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشركوه فى سلطانه ولم يكن له معهم تصرّف فى امور ملكه فعظمت آثارُهم وبعُد صيتُهم وعمروا مراتب الدولة وخِطَطها بالرؤسآء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عمّن سواهم من وزارة وكتابة

وقيادة

وقيادة وحجابة وسيف وقلم تقال انه كان بدار الرشيد
من ولد يحيى بن خالد خمسةٌ وعشرون رئيسا من بين
صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدوله
بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من
كفالة هرون ولىّ عهد وخليفة حتى شبّ فى حجره
ودرج من عشّه وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابى
فتوجّه الايثارُ من السلطان اليهم وعظمت الدالّة منهم
وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوهُ وخضعت
لهم الرقابُ وقُصرت عليهم الآمال وتخطّت اليهم من اقصى
التخوم هدايا الملوك وتحفُ الامرآء وتسرّبت الى
خزائنهم فى سبل التزلّف والاستمالة اموالُ الجباية
وافاضوا فى رجال الشيعة وعظمآء القرابة العطآء وطوّقوهم
المنن وكسبوا من بيوتات الاشراف المُعْدِمَ وفكّوا العانى
ومُدحوا بما لم يُمْدَحْ به خليفتُهم واسنوا لعُفاتهم
الجوائز والصلات واستولوا على القرى والضياع من
الضواحى والامصار فى سائر الممالك حتى آسفوا البطانةَ
واحقدوا الخاصّة واغصّوا اهل الولاية فكُشِفَتْ لهم

وجوهُ

وجوهُ المنافَسه والحسد ودبّت الى مهادهم الوثير من الدوله عقاربُ السعاية حتى لقد كان بنو قحطبه اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وَقِرَ فى نفوسهم من الحسد عواطفُ الرحم ولا وزعتهم اواصرُ القرابه وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئُ الغيرةِ والاستنكافِ من الحجر والأَنَفَه وكامنُ الحقود التى بعثتها منهم صغائر الدالّة وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كبائرْ المخالفة كقصّتهم فى يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن ابى طالب اخى محمّد المهدى الملقّب بالنفس الزكيه الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذى استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطّه وبذل لهم فيه الف الف درهم على ما ذكره الطبرى ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدّة ثم حملته الدالّة على تخلية سبيله والاستبداد بحلّ عقاله حرما لدمآء اهل البيت بزعمه ودالّةً على السلطان فى حكمه وسأله الرشيد عنه لما وُشى به اليه فقطن وقال اطلقه فابدى له وجهَ الاستحسان واسرّها

واسرّها فى نفسه فاوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثلّ عرشهم وأُكفِئت عليهم سمآؤهم وخسفت الارض بهم وبدارهم وذهب سلفًا ومثلا للآخرين ايّامُهم ومَن تامّل اخبارهم واستقصى سِيَرَ الدوله وسِيَرهم وجد ذلك محقَّق الاثر ممهَّد الاسباب، وانظُر ما نقله ابن عبد ربّه فى مفاوضة الرشيد عَمّ جدّه داودَ بن علىّ فى شان نكبتهم وما ذكره فى باب الشعرآء من كتاب العقد فى محاورة الاصمعى للرشيد وللفضل بن يحيى فى سمرهم تتفهّم انه انما قتلهم الغيرةُ والمنافسَةُ فى الاستبداد من الخليفة فمَن دونه وكذلك ما تحيّل به اعدآؤهم من البطانه فيما دسّوه للمغنّين من الشعر احتيالا على اسماعه للخليفة وتحريك حفائظه لهم وهو قوله شعر

ليت هندًا انجزتنا ما تَعِدْ وشفت انفسنا ممّا نَجِدْ
واستبدّت مرّة واحدة وَانّما العاجِزُ من لا يَستَبِدّ

وان الرشيد لما سمعها قال اى والله عاجزٌ حتى بعثوا بامثال هذه كامنَ غيرته وسلّطوا عليهم باس انتقامه

نعوذ

نعوذ بالله من غلبه الرجال وسوء الحال، واما ما تُموّه به الحكايه من معاقرة الرشيد للخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا الله ما علمنا عليه من سوء واين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافه من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابه العلمآء والاوليآء ومحاورته للفُضيل بن عياض وابن السمّاك والعمري ومكاتبته سفيان وبكآئه من مواعظهم ودعآئه بمكّة فى طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظه على اوقات الصلوات وشهود الصبح الاوّل فى وقتها، حكى الطبرى وغيره انه كان يصلّى كل يوم مأيه ركعةٍ نافله وكان يغزو عاما ويحجّ عاما ولقد زجر ابنَ ابى مريم مضحكه وسميره حين تعرّض له بمثل ذلك فى الصلاة لمّا سمعه يقرأ وما لى لا اعبد الذى فطرنى قال والله لا ادرى لِمَ فما تمالك الرشيد ان ضحك ثم التفت اليه مغضبا وقال يا ابن ابى مريم فى الصلاة ايضا ايّاك ايّاك والقرآنَ والدين ولك ما شئت بعدهما، وايضا فقد كان من العلم والسذاجه بمكانٍ لقرب عهدهِ من سلفه المنتحلين لذلك ولم تكن بينه وبين جدّه

جدّه ابى جعفر بعبدُ زمنٍ انما خلّفه غلامًا وقد كان
ابوجعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافه وبعدها
وهو القائل لمالك حين اشار عليه بالتصنيف الموطأ يا
ابا عبد الله انه لم يبقَ على وجه الارض اعلم منى ومنك
وانّى قد شغلتنى الخلافة فضع انت للناس كتابا ينتفعون
به تجنّب فيه رخص ابن عبّاس وشدائد ابن عمر
ووطِّئْه للناس توطئــةً قال مالك فوالله لقد علّمنى
التصنيف يومئذ، ولقد ادركه ابنه المهدىّ ابوّ الرشيد
هذا وهو يتورّع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال
ودخل عليه يوما وهو بمجلسه يباشر الخيّاطين فى ارقاع
الخلقان من ثياب عياله فاستنكف المهدىّ من ذلك وقال
يا امير المؤمنين علىّ كسوةُ هذه العيال عامنا هذا من
عطائىْ فقال لك ذلك ولم يصدّه عنه ولا سمح بالانفاق
من اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب
العهد من هذا الخليفه وابوّته وما ربى عليه من امثال
هذه السير فى اهل بيته والتخلّق بها ان يعاقر فى الخمر
او يجاهر بها وقد كانت حال الاشراف من العرب فى
الجاهليه

الجاهلية فى اجتناب الخمر معلومةً ولم تكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمّة عند الكبير منهم والصغير والرشيد وآباؤه كانوا على ثبج من اجتناب المذمومات فى دينهم ودنياهم والتخلّق بالمحامد واوصاف الكمال ونزعات العرب ، وانظر ما نقله الطبرىّ والمسعودىّ فى قصّة جبرئيل ابن بختيشوع الطبيب حين أُحضر له السمكُ فى مائدته فحماه عنه ثم امر صاحب المائدة بحمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به ودسّ خادمه حتّى عاينه يتناوله فاعدّ ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصبّ على الثانية مآء مثلّجا وعلى الثالثة خمرا صرفا وقال فى الاولى والثانية هذا طعام امير المومنين ان خلط السمك بغيره اولم يخلط وقال فى الثالثة هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضره للتوبيخ احضر الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتّت ووجد الآخرين قد فسدا وتغيّرت رائحتهما فكانت له

ى دلك معدره وبتى من دلك ان حال الرشيد ى اجتناب
الخمر كانت معروفه عند بطانته واهل مائدته ، ولقد
ثبت عنه انه عهد بحبس ابى نواس لما بلغه من
انهماكه ى المعاقره حتى تاب واقلع، واتما كان الرشيد
يشرب نبيد التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم
فيها معروفةٌ واتما الخمر الصرف من العنب فلا سبيل الى
اتّهامه بها ولا تقليد الاخبار الواهيه فيها فلم يكن
الرجل بحيث يواقع محرّما من اكبر الكبائر عند اهل
الملّه ولقد كان اولئك القوم كلهم بمنجاه من حب
السرف والترف ى ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم
لما كانوا عليه من خشونه البداوة وسذاجه الدين
التى لم يفارقوها بعدُ فما ظنّك بما يخرج عن الاباحه
الى الحظر وعن الحلّيّه الى الحرمه ولقد اتّفق المؤرّخون
الطبرى والمسعودى وغيرهما على ان جميع من سلف
من خلفآء بنى اميّه وبنى العبّاس انما كانوا يركبون
بالحلية الخفيفه من الفضّه ى المناطق والسيوف واللجم
والسروج وان اوّل خليفه احدث الركوب بحليه الذهب

هـ

هو المعتزّ بن المتوكّل ثامن للخلفآء بعد الرشيد وهكذا
كان حالهم ايضا فى ملابسهم فما ظنّك بمشاربهم
ويتبيّن ذلك بامرّ من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة فى
اوّلها مِن البداوة والغظاظة كما نشرح فى مسائل الكتاب
الاوّل ان شآء الله تعالى، وبناسب هذا او قريبا منه ما
ينقلونه كافّة عن يحيى بن اكثم قاضى المامون وصاحبه
وان كان يعاقر المامونَ الخمرَ وانه سكر ليلة مع شَرْبه
فدفن فى الريحان حتى افاق وينشدون على لسانه

يا سيّدى وامير الناس كلهم
قد جار فى حكمه من كان يسقينى
انّى غفلت عن الساقى فصيّرنى
كما ترانى سليبَ العقل والدين

وحال ابن اكثم والمامون فى ذلك من حال الرشيد
وشرابُهم انما كان النبيذَ ولم يكن محظورا عندهم واما
السكر فليس من شأنهم وصحابتُه للمامون انما كان خلّة
فى الدين ولقد ثبت انه كان ينام معه فى البيت
ونقِل من فضائل المامون وحُسن عشرته انه انتبه

ذاتَ

ذات ليلة فقام يحسس ويلمس الاناء مخافة ان يوطأ
يحيى بن اكثم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا
فاين هذا من المعاقرة وايضا فيحيى بن اكثم كان من
اهل الحديث وقد اثنى عليه الامام احمد بن حنبل
والقاضى اسمعيل وخرّج عنه الترمذى فى كتابه الجامع •
وذكر الحافظ المزى ان البخارى روى عنه فى غير
الجامع فالقدح فيه قدحٌ فى جميعهم وكذلك نسبة المختار
بالميل الى الغلمان بهتانا على الله ويزيد على العلماء
ويستندون فى ذلك الى اخبار القصاص الواهية التى
لعلها من افتراء اعدائه فانه كان محسودا فى كماله وخلته
للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزهًا عن مثل
ذلك وقد ذُكِرَ لاحمد بن حنبل ما يرميه به الناس فقال
سبحانَ الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك
انكارًا شديدًا واثنى عليه وقيل لاسمعيل عما كان يقال
فيه فقال معاذَ الله ان تزول عدالته بتكذيب باغ
وحاسد وقال كان يحيى بن اكثم ابرأ الى الله من ان
يكون فيه شىء مما كان يُرمَى به من امر الغلمان ولقد
كنت

كتب اسف على سرائره فاحِدة شديد الخوف لله
لكنّه كانت فيه دعابة وحُسن حُلْوٍ فرُمى بما رُمى به
وذكره ابن حيّان في النعاب وقال لا نُشعَلْ بما يحكى
عنه لأنّ إكثرها لا نصحّ عنه ومن امثال هذه الحكايات ما
نقله ابن عبد ربّه صاحب العقد من حديث الرسل
في سبب إصهار المأمون الى الحسن بن سهلٍ في بنته
بوران وانه عثر في بعض الليالى في تطوّفه بسكك بغدادَ
ترسل مُدلى من بعض السطوح بمعالق وجُدُل مُعارهِ
الفتل من الحرير فاقعده وتناول المعالق فاهتزّت وذُهِبَ
به صُعُدا الى مجلسٍ شأنُهُ كذا ووصف من زينة فرشه
وتنضيد انيته وجمال رُوآئه ما يستوقف الطرف ويملك
النفس وان امراة برزت له من خلل الستور فى ذلك المجلس
رائعة الجمال فتاته المحاسن فحيّته ودعته الى المنادمة
فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه
بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبّا بعثه على الاصهار
الى ابيها واين هذا كله من حال المامون المعروفة فى
دينه وعلمه واقتفآئه سنن الخلفآء الراشدين من آبآئه

واحدة

واخذه بسيرة الخلفاء الاربعة اركان الملّة ومناظرته للعلماء وحفظه لحدود الله في صلواته واحكامه فكيف نحّ عنه احوالُ العشّاق المشهورين في الطواف بالليل وطروقُ المنازل وعشاق السمر سبيل عشّاق الاعراب وانّى ذلك من منصب بنت الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار ابيها من الصون والعفاف، وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرّخين معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماكُ في اللذّات المحرّمة وهتك قناع المروّات ويتعلّلون بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذّاتهم فلذلك نراهم كثيرا ما يلهجون باشياء هذه الاخبار وينقّرون عنها عند تصفّحهم لاوراق الدواوين ولو ائتسوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللائقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون، ولقد عذلت يوما بعض الامراء من اولاد الملوك في كلفه بتعلّم الغناء وولوعه بالاوتار وقلت له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلا ترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه

الصاىعه ورئيس المعتنين فى زمانه فقلت له يا سبحان
الله وهلا تأنيت بابنه او احبه او ما رايت كيف فعل
ذلك بابراهيم عن مناصبهم فصمّم عن عذلى واعرض، ومن
الغلط الخفىّ فى التاريخ الذهولُ عن تبدّل الاحوال
فى الامم والاجيال بتبدّل الاعصار ومرور الايّام وهو داء
دوىّ وشديد الخفاء اذ لا يقع الّا بعد احقاب متطاولة
ولا يكاد يتفطّن له الّا الآحادُ من اهل الخليقه وذلك انّ
احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيره
واحدة ومنهاج مستقرّ انّما هو اختلافٌ على الايّام
والازمنه وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى
الاشخاص والاوقات والامصار فكذلك يقع فى الآفاق
والاقطار والازمنه والدول سُنّةَ الله التى قد خلت فى
عباده وقد كانت فى العالم امم الفرس الاولى والسريانيون
والنبط والتبابعه وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على
احوال خاصّه بهم فى دولهم وممالكهم وسياستهم
وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع
ابناء جنسهم واحوالُ اعمارهم للعالم تشهد بها آثارُهم

ن

ثم جآء من بعدهم الفرس الثانيه والروم والعرب والفرنجه وتبدّلت تلك الاحوال وانقلبت العوائد الى ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعدها ثم جآء الاسلام بدوله مصر فانقلبت تلك الاحوال اجمعْ إنقلابه اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد بأخذه الخلف عن السلف ثم درست دولهٔ العرب وايّامهم وذهب الاسلاف الذين شيّدوا عزّهم ومهّدوا ملكهم وصار في ايدى سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنج بالشمال فذهبت بذهابهم امم وانقلبت احوال وعوائد نُسى شانها وأُغفل امرها والسبب الشائع في تبدّل الاحوال والعوائد ان عوائد كل جيل تابعه لعوائد سلطانه كما يقال في الامثال الحكميّه الناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدوله والامر فلا بدّ ان يفزعوا الى عوائد مَن قبلهم ويأخذون الكثير منها ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدوله بعض المخالفه لعوائد الجيل الاوّل فاذا جاءت دوله اخرى من بعدهم ومزجت

من عوائدهم وعوائدها خالفت ايضا بعض الشىء وكانت للاولى اشدّ مخالفة ثم لا تزال التدرج فى المخالفة حتى تنتهى الى المباينة بالجملة فما دامت الامم والاجيال تتعاقب فى الملك والسلطان لا تزال المخالفة فى العوائد والاحوال واقعةً، والقياس والمحاكاة للانسان طبيعةٌ معروفة ومن الغلط غيرُ مأمونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه فربّما سمع السامع كثيرا من اخبار الماضين فلا يتفطّن لما وقع من تغيّر الاحوال وانقلابها فيُجريها لاوّل وهلة على ما عرف ويقيسها بما يشهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع فى مهواة من الغلط، ومن هذا الباب ما يتوهّمه المتصفّحون لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة فى الحروب وقود العساكر فتترامى بهم وساوسُ الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشان فى خطّة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبلُ ويظنّون بابن ابى عامر حاجب هشام المستبدّ عليه وابن عبّاد من ملوك الطوائف باشبيلية اذا سمعوا ان آباءهم كانوا قضاة

قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطّنون لما وقع فى رُتبة القضآء من مخالفة العوائد كما بيّنّاه فى فصل القضآء من الكتاب الاوّل وابن ابى عامر وابن عبّاد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الامويّة بالاندلس واهلِ عصبيّتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلُهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطّة القضآء كما هى لهذا العهد بل انما كان القضآء فى الامر القديم لاهل العصبيّات من قبائل الدولة ومواليها كما هى الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظُر خروجهم بالعساكر فى الصوائف وتقلّدهم عظائمَ الامور التى لا تقلّد الا لمن له الغنآء فيها بالعصبيّة فيغلط السامع فى ذلك ويحمل الاحوال الى غير ما هى واكثر ما يقع فى هذا الغلط ضعفآء البصائر من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبيّة فى مواطنهم منذ اعصار بعيدة لفنآء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبيّة من البربر فبقيت انسابُهم العربية محفوظةً والذريعة الى العزّ من العصبيّة والتناصر مفقودةً بل صاروا من جملة الرعايا

المتخاذلين

المجادلين الذين نعتقدهم القهر ورموا للدلّة يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة ع الى تكون بها العلب والتحكّم فتجد اهل الحرف والصنائع منهم متضدّين لذلك ساعين فى نيله فاما من باشر احوال القبائل والعصبيّة ودولهم بالعدوة المغربيّة وكيف يكون التغلّب بين الامم والعشائر فقلّما يغلطون فى ذلك ويخطئون فى اعتباره ۞

ثمّ المنقول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
لابن خلدون

من كتاب

عمدة الصفوة فى حل القهوة

للشيخ عبد القادر بن محمد الانصارى الجزيرى الحنبلى

الىـاب الاوّل

ى معنى العهوه وصفتها وطـىـعها وفى اىّ ىلـده ىدا اىـتشارها ولاىّ معنى طحب وشرىب وعلا مىسارها ،

اعلم ان العهوه هى الىوع المىّحد من ىسر الىنّ او مىه مع حبّه المحمّم ىصمّ الىم وفىح الحم وىسدىد الحآ ، المهمله المعىوحه اىصا اى المعلىّ وصفىها هو ان ىوصع العشر إمّا وحدَه وهى العشرىه او مع البىّ المحمّم المدفوق وهى البنّه فى مآء ثم ىعلى علىه حىى ىحرج حاصّىه ومنهم من ىجد عاىه اعىدال اسوآنها ىطعم مدافـعها الى المرارة وتسمّى عندهم فى اصطلاح دوى معرفـتها

معرفتها المحكمة الاسوآء بتشديد الكاف وتركه ثم
تشرب ثم من قائل تحلّها يرى انها الشراب الطهور المباركه
على اربابها، الموجبه للنشاط والاعانه على ذكر الله
تعالى وفعلِ العبادة لطلّابها، ومِن قائل تحرِيمها مفرّط
فى ذمّها والتشنيع على شرّابها، وكثر فيها من الجانبين
التصانيفُ والفتاوى، وبالغ القائل تحريمها فادّعى انها
من الخمر وانها به تساوى، وبعضهم نسب اليها
الإضرار بالعقل والبدن، الى غير ذلك من الدعاوى
والتعصّبات المؤديه الى الجدال والفتن، وحصول ما ادى
الى نفوس ومحن بمكّه ومصر القاهرة، والمنع من
بيعها وكسر اوانيها المحترمه الطاهرة، بل والى تعزير
باعيها بالضرب وغيره من غير حجّة ظاهرة، والى تأديبهم
بضياع مالهم واحراق القشر المتّخذة منه فى كرّات
متواترة، وايذآء بعض شرّابها رجآءَ مصلحةٍ تعود عليه
إمّا فى الدنيا او للآخرة، وكثر التعصّب من الجانبين
فهاجت جنود الشياطين، وثارت حظوظُ النفوس التى
لا طائل تحتها من المومنين، وبالغ الذامّ لها فزعم ان
شاربها

شاربها يحشر يوم القيامة ووجهه اسود من قعور اوانيها ، وكثر القاطع والنادر من الفريقين والذمّ لمن يعانيها ، وسيرِدُ عليك ما قيل في حقيقتها من الاسئلة والجواب ، ممّا يكشف عن وجه حلّها لمستعملها النقاب ، ويوضح إباحتها على الصورة التي لا قدح فيها ولا ارتياب ، ويمنع مَن خالف ذلك في سالكه في جادّة الصواب ،

وأمّا اشتقاق اسم القهوة كما قال العلّامة الحبر ابو بكر ابن ابي يزيد في مؤلّفه اثارة النخوة بحلّ القهوة انها من الاقهاء وهو الاجتواء اي الكراهة او من الاقهاء بمعنى الاقعاد من اقهى الرجل عن الشيء اي قعد عنه وكراهةُ كل شيء والقعودُ عنه بحسبه ومنه سمّيت الخمرة قهوة لانها تُقهي اي تُكره الطعام او تُقعد عنه حسبما نُقل عن من يعرف احوالها فكذلك هذا المعنى المذكور فيكره او يقعد عن النوم الموضوعة في الاصل لاذهابه لما يترتّب عليه من قيام الليل المطلوب شرعا ثم قال ونظيرُ ذلك في الاطلاق النظمُ فانه يطلق على الاشعار لما انه في الاصل جعلُ اللولو في السلك

السلك ثم استعير للشعر والقرآن على انها اولى بتسمية ذلك من الخمر لا سيّما، وقد تلاعب بلفظها الصوفية وتداولته وعبّر به عن المحبّة ومثلها فى ذلك النعسُ ماتجنّا والخمر وغير ذلك كما قال الشيخ شرف عمر بن الفارض فى ديوانه سقتنى حميّا الحبّ وغير ذلك من الالفاظ وكما فى كلام سيّدى على وفا قدّس سرّه كلام السادة علم صحّة ما قلناه، انتهى، وبعضهم كان يكسر القاف ويقول القِهوة فرقا بين القهوتين، وامّا طبعها فذكر كثير من الاطبّاء والحذّاق الالبّاء انها حارّة يابسة وقال آخرون باردة يابسة وهو من مذهب اهل الذمّ لها، ومن اعظم منافعها اذهاب النوم وان كان للسهر اسباب كثيرة غيرها من تقليل الاكل وترك التعب فى النهار والقيلولة وغير ذلك مما تقرّر فى كتب السادة الصوفية،

فائدة قاضى القضاة علّامة زمانه تاج الدين عبد الوهّاب ابن يعقوب المكّى المالكى رئيس الاقطار الحجازية تغمّده الله برحمته فى ليالى اجتماعى به زمن الموسم بدارة بالسويقة بمكّة المشرّفة وكان لى به اجتماعات خاصّة

فى كل سنه فى الليالى الثمان وبعدها ان شُربَ المآء
البارد قبل القهوة ممّا يفيدها رطوبه المزاج وبقلّ
يبسها ولا يكون السهر حينئذ شديدا وكنت اراه
يفعل ذلك دائمًا لهذا المعنى وهو من ذوى المعرفة
والتجارب وله الخبرة والسياسة الحسنه فى سائر الامور
بحيث بلغ بسبب ادمانه وخبرته اعلى المراتب عند
صاحب مكّة هو السيد الشريف نجم الدنيا والدين ابو
نمى بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان
الحسنى وولده الشريف احمد كما هو المشهور فى زمننا بالاقطار
الحجازية ومنعت بمصاحبته وصداقته ومسامرته عدّة
من السنين الى ان توفّى فى تاسع المحرّم عام ستّين وتسعمائة.
وأرّخ وفاته بحساب الجمل جنان الخلد سكنه ومأواه
ولم يخلف بعده مثله اسكنه الله الفردوس الاعلى،
وامّا مبدأ حدوث القهوة فقال الشيخ شهاب الدين
ابن عبد الغفّار ما لفظه ان الاخبار قد وردت علينا
بمصر اوائل هذا القرن بانه قد شاع فى اليمن شراب
يقال له القهوة يستعمله مشائخ الصوفيه وغيرهم للاستعانة

به

ىه على السهر فى الأذكار التى يعملونها على طريقتهم
المشهورة ثم بلغنا بعد ذلك بمدّة ان ظهورها وانتشارها
فيه كان على يد المشهور بالعلم والولايه الشيخ الامام
العالم العلّامه المفتى المسلك جمال الدين ابى عبد الله
محمّد بن سعيد المعروف بالذبحانى بفتح الدال المعجمه
وسكون الموحّده وفتح المهمله وبعد الالف نون مكسورة
نسبةً الى ذبحان بلدة معروفة باليمن وسمعنا انه رحمه
الله كانَ متولّيا بوظيفة تصحيح الفتاوى بعدن وهى
وظيفة كانت بها اذذاك تُعرَض على صاحبها الفتاوى
فيقرّ ما يراه صوابا ويكتب تحتها صحّ بخطّه ويبيّنه على
ما يرى اصلاحَه قال وسبب اظهاره لها ما سمعناه ايضا
انه رحمه الله كان عرض له امر اقتضى له الخروج من
عدن الى برّ العجم فاقام به مدّة فوجد اهله يستعملون
القهوة ولم يعلم لها خاصّيّه ثم عرض له لما رجع الى
عدن مرض فتذكّرها فشربها فنفعته فيه ووجد فيها
من الخواصّ انها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن
خفّة ونشاطا فلما سلك طريق التصوّف صار هو وغيره

من الصوفة بعدن يستعينون بشربها على ما ذكرناه
ثم تتابع الناس بعدن والفقهاء والعوامّ على شربها
للاستعانة بها على مطالعة العلم وغير ذلك من الحرف
والصناعات ولم تزل في انتشار. قال ثم انى كتبت لبعض
اخواننا في الله تعالى من اهل الدين والعلم بزبيد وهو
الفقيه الاجلّ جمال الدين ابو عبد الله محمّد بن الشيخ
الامام العالم العلّامة عبد الغفّار باعلوى وهو من بيت
كبير بزبيد مشهورٍ اهلُه بالعلم والدين ان يبحث لى
عمّن شربها باليمن ممّن يعتدّ به من اهل العلم والدين
وعن اوّل حدوثها فيه فكان ممّا كتبه الىّ في الجواب ما
صورته وما ذكره لى سيّدي حفظه الله تعالى من البحث
عمّن شربها من اهل اليمن فسأل المملوكُ جماعة من
المعمّرين ببلدنا واسنُّهم الآن عمُّ المملوكِ الفقيهُ العالم
الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن ابراهيم العلوى
فانه الآن قد زاد على التسعين فاخبرني حفظه الله
وابقاه عن بدأ امر القهوة وذلك انه قال كنت بمدينة
عدن فوصل الينا بعض الفقرآء السالكين وكان يعمل

القهوة وبشربها وانه كان يعمل للشيخ العلّامة خاتمة العلمآء بثغر عدن الفقيه محمّد المعروف بافضل الحضرمى والشيخ العارف بالله تعالى محمّد الدنحانى وبشربانها ينحصر من الناس وكفى بهما حجّة فى ذلك، انتهى، قال العلّامة ابن عبد الغفّار فيُحتمَل ان يكون الدنحانى أوّل من ادخلها عدن كما هو المشهور ويحتمل ان يكون الذى ادخلها عدن غيره ولكنّها نُسبت اليه لكونه كان هو السببَ فى ظهورها وانتشارها والشيخ شهاب الدين الدنحانى هذا كانت وفاته سنة خمس وتسعين وثمانماية فقد علمتَ مبدأ ظهورها، قلتُ فعلى هذا ان القهوة بالنسبة الى الظهور فى اليمن لا فى غيره والى آننا الآن الذى هو عام ستّ وتسعين وتسعماية نزيد مدّتها عن مأية عام وانما قلنا لا فى غيره لان ظهور القهوة فى برّ ابن سعد الدين وبلاد الحبشة والجبرت وغيرها من برّ العجم فلا يُعلَم متى كان اوّله ولا علمنا سببه، وقال العلّامة المجد فخر الدين ابن بكر بن ابى يزيد المكّى ما لفظه فصل واوّل من انشأها

انشأها الشيخ الصالح المسلك ابو عبد الله محمّد بن سعيد الذبحانى والذى بلغنا عن جمع يبلغ حدّ التواتر ان اوّل من انشأها واظهرها وبارض اليمن اشاعها واشهرها الشيخ العارف بالله تعالى على بن عمر الشاذلى احد تلامذة سيّدنا الشيخ العارف بالله تعالى ناصر الدين بن ميلق احد السادة المشايخ الشاذلية ولسان حالهم فى المعارف الالهية وانها كانت قبل من البن اعنى الورق المسمّى بالقات لا من البنّ ولا من قشره فلا زالت تنتقل من بلد الى آخر حتى وصلت الى ثغر عدن المحروس فعدمت القهوة من عدن فى زمن سيّدنا الشيخ محمّد بن سعيد الذبحانى المذكور اوّلا وقال لمن يلوذ به وينتمى اليه ان البنّ يسهر فامتحنوا بنا قهوته فامتحنوها فوجدوها تعمل عمله مع قلّة الثمن والمؤنة ثم استمرّ شربها من منشأها وغيره ممّا لا نطول بذكره ، ولا منافاة بين الكلامين كما لا يخفى اذ من نقل الاوّل راى الى القهوة القشرية ومن نقل الثانى راى الى القهوة البنية ، ثم قال واما نحن فقد ادركنا العشر دونى

مدّة

مكّه وعسرها من ممد عشرين سنه واكثر ولم نطهر
القهوة منه الا ى اواحر الفرن الناسع والى هدا الآن
من العرن العاشر ولم يتكلّم علنها احد من علمآء الزمان
لانّ الظاهر ممّا حررناه انها لم تكن ى زمانهم ولم
ىتكلّموا علىها اد لم ىروا فيها ما يقتضى التكلّم ولىست
ممّا ىتوفّر فيه الدواعى على نقله، ثم من استمرار الزمان
عن ما سبب من الاسباب اندحضت ولم يُلتفَت اليها
ثم ظهرت ى الوقت الذى دكرناه وكم من امور
ظهرت ى السنين الخالية ونسيت ثم ظهرت بعد دلك
وظنّ المدرك لها انها انّما وقع ابتداعها ى زمن
ادراكه لها، واما اوّل ظهورها بمصر فقال العلّامه
ابن عبد الغفّار رحمه الله تعالى انها ظهرت ى حارة
الجامع الازهر المعمور بدكر الله تعالى ى العشر الاوّل
من هذا القرن وكانت تشرب ى نفس الجامع برواق
اليمن يشربها فيه اليمانيون ومن يسكن معهم ى
رواقهم من اهل الحرمَين الشريفين وكان المستعمِلَ لها
الفقرآء المشتغلون بالرواتب من الاذكار والمدائح على
طريقتهم

طريقتهم المذكورة وكانوا يشربونها كل ليلة اثنين
وجمعة يصبّونها فى ماجور كبير من الفخار الاحمر ويغترف
منها النقيب بسكرجة صغيرة ويسقيهم الايمن فالايمن
مع ذكرهم المعتاد عليها وهو قالبا لا اله الا الله الملك
الحق المبين وكان يشربها معهم مواضعة لهم من يحضر
الرواتب من العوامّ وغيرهم، قال وكنّا ممن يحضر معهم
وشربناها معهم فوجدناها فى اذهاب النعاس والكسل
كما قالوا بحيث انها سهرنا معهم لياليَ لا نحسّها الى
ان نصلّى الصبح مع الجماعة من غير تكلّف وكان يشربها
معهم من اهل الجامع من اصحابنا وغيرهم خلق لا نحصيهم
ولم يزل الحال على ذلك وشربت كثيرا فى حارة الجامع
الازهر وابيعت بها جهرا فى عدّة مواضع ولم يعترض
احد مع طول المدّة لشرّابها ولا انكر شربها لا لذاتها
ولا لوصف خارج عنها من ادارة وغيرها مع اشتهارها
بمكّة وشربها فى نفس المسجد الحرام وغيره بحيث لا
يعمل ذكر او مولد الا بحضورها وينسب بالمدينة
الشريفة دون فشوّها فى مكّة بحيث ان الناس يطبخونها

فى بيوتهم كثيرا، ثم حدث الانكار عليها بمكة المشرفة فى عام سبعة عشر وتسعمايه وكان القائم فى ذلك رجلين اعجميين اخوين كانا مشهورين بالحكميين وكان لهما فضيلة فى المنطق والكلام ومشاركة فى الطب ويدعيان مرتبة فى الفقه لم نسلّم لهما وهما الرجلان اللذان رحلا الى مصر فى اواخر دولة الغورى واقاما بها حتى قدم اليها السلطان الملك المظفر سليم شاه سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة وقتلهما توسطا لما كانا يرمّيان به ممّا الله اعلم بحقيقة الحال فيه واعانهما على القيام فى امرها الشيخ شمس الدين محمد الحنفى الخطيب بقتيب قاضى القضاة سرى الدين بن الشحنة وناس آخرون تبعا لهم فاغرى الشيخ شمس الدين الخطيب الامير خايربك المعمار باش مكة ومحتسبها اذذاك على ابطالها من الاسواق ومنع الناس من شربها وقرّر عنده انها موصوفة بتلك الصفات القبيحة ورغّبه بذلك جدّا وحمله على ان عقد له مجلسا عنده وانفصلوا منه على القول بحرمتها وكتبوا بذلك محضرا انشأه لهم الشمس الخطيب وارسلوه الى

مصر

مصر وارسلوا معه سؤالا إنشاء للحكمين والخطيب وطلبوا مرسوما سلطانيا لمنعها بمكة المشرفة ثم لما انصرفوا من عقد المجلس اشهر الامير خايربك النداء بالمنع من شربها وبيعها وشدّد في ذلك حتى انه عزّر جماعة من بائعيها وكبس مواضعهم واخرج ما وجده فيها من قشر البنّ واحرقه في وسط المسعى فبطلت حينئذ من السوق وكان الناس يشربونها في بيوتهم اختفاءً ثمّ انه بلغه عن شخص انه يشربها فعزّره وطاف به في الاسواق، ثم ورد بعد ذلك المرسومُ السلطاني ولكن لا على وفق غرضهم كما سنقف عليه في عبارته فتجاسر الناس على شربها لا سيّما وقد بلغهم انها لا تُمنع من مصر التي هي بلدة السلطان ولم ينكرها احد من علمائها اذذاك والاعيان ونفر خايربك عن التسلّط على الناس بسببها واستمرّ الحال على ذلك، ثم قدم المرحوم ناظر الخواصّ الشريفة العلاي ابن الامام الى مكة المشرّفة في عام ثمانية عشر وتسعمائة لمُهمّ سلطاني فمنع السمس الخطيب من تحمّل الشهادة واداءتها واراد حمله الى مصر

ثم اعفاه من ذلك فانقطع الخطب فى سنه الى الموسم فازداد الامر فتورا والقهوة ظهورا وتوجّه الخطب صحبه الركب الى مصر وتوفى بالتنوع وقال فى هذا المعنى بعض اهل النحون ونسب ذلك الى الشيخ ابى الفتح المالكى بالشام

قهوة البن حرّمت   فاحتسوا قهوة الزبيب
ثم طيبوا وعربدوا   وادرلوا فى قفا الخطيب

وقال غيره

قهوه البن حرّمت   فاحتسوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا   والعنوا من هو السبب

واتّفق فى عام ثمانيه المذكوره ان الامير قطلباى قدم الى مكّه المشرّفه صحبة الركب الشريف باشا عوضا عن حايربك فاكثر من شربها فاشتهرت اضعاف اشتهارها الاوّل ثم لم يزل امرها يتزايد فى الحرمين وغيرهما ولم يتعرّض لها احد بالمنع، وبلغ الشيخ العارف بالله تعالى سيّدى محمّد بن عراق متّعنا الله ببركاته لما قدم الى مكّة فى ذى القعدة الحرام

الحرام سنة اثنتين وثلاثين انه كان يفعل في بيوت القهوة من المنكرات فاشار على الحكّام بابطال بيوت القهوة مع تصريحه بحلّها في حدّ ذاتها غير مرّة لغير واحد بحسب بلغ ذلك منه مبلغ النوادر المسعبد للقطع وكذلك لم يتعرّض لابطالها من المدينة مع طول اقامته فيها وبلغه ان امراة شابّة تبيع القهوة في المدينة مكشوفة الوجه فمنعها من البيع فشكت اليه حالها من الحاجة فاذن لها في البيع بشرط الستر ففعلت، ولما توفّى الشيخ رحمه الله بمكّة في خامس صفر سنة ثلاث وثلاثين رجع الحال الى ما كان عليه ولم يزل في تزايد الى وقتنا هذا. قلت ولم يزل اولياء الشيخ من بعده على القول بحل القهوة والمواظبة عليها حتى ان اجلّهم قطب دائرة اهل الحرمين في الظهور علما وصلاحا واثما وتدريسا وافتا كان اجلّ ما تحضره لمن يرد عليه من الاكابر ومن دونهم القهوة ويتكرر فعله لذلك في اليوم والليلة مرّات خصوصا في زمن الموسم وقد كانت مكرمى عنده اذا قدمت عليه بمكّة والمدينة او بالعاشرة في اوقات سفره

المفنا

اليها وكذلك شربها بمنزلى ايّام اقامته بالقاهرة نفعنا الله
ببركاته وبركة سلفه توفّى بالمدينة المنورّة فى عام ثلاث
وتسعين وتسعماية بعد اخيه الشيخ عبد النافع قاضى اليمن،
ثمّ فى عام تسع وثلاثين رُفع للشيخ العلاّمه واعظ العصر
شيخنا شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطى
الشافعى سؤال فى القهوة صورته ما قولكم رضى الله عنكم
فى شرابٍ يسمّونه القهوة يجتمع عليه الجماعة يشربونه
ويزعمون انه مباح مع انه يترتّب عليه مفاسد كثيرة
فهل ذلك جائز ام حرام، فاجاب بحرمتها وانها مسكرة
وكتب على هذا السؤال جوابا واسع العبارة لا يحتمله
هذا المختصر اجال فيه على اخبار من شربها وتاب
عنها وعلى ما يوصف به الجمع فى بيوتها من الاوصاف
المانعة لشربها وسياتى ذكر ذلك ملخّصا فى الباب الثانى،
ثمّ فى سنة احدى واربعين تعرّضوا للشيخ فى مجلس
وعظه بذكر القهوة فافتى بحرمتها وصمّم على ذلك فى
مجالسه بالجامع الازهر فتعصّب جماعة من العوامّ لما
سمعوا ذلك منه وخرجوا الى بيوتها من تلقاء انفسهم

من عبر امر حاكم بل لمجرد الحملات العامّة وكسروا اوانيها وضربوا جماعة ممّن هناك فقام بسبب ذلك فتنة كبيرة وتعصّبات ممّن يقول بالحلّ والحرمة شهيرة واحتيج الى الاستفتاء ايضا واتّصل الامر بقاضي مصر هو الشيخ محمد بن الياس الحنفي فسال عن حكمها جماعة من علماء القاهرة المعتنين بها واعتمد على افتاء من قال بحلّها من العلماء المعتبرين ثم استظهر على ذلك فامر بطبخها في منزله وسقى منها جماعات بحضرته وجلس يتحدّث معهم مُعْظَمَ النهار ليختبر حالهم فلم ير فيهم تغيرا ولا شيئا منكرا فاقرّها على حالها. وفي منع الشيخ شهاب الدين بن عبد الحقّ السنباطي لشرب القهوة وافتائه بحرمتها وقيام العامّة معه يقول بعضهم اخلّه الفقيه الحسيني بحدّه

شعر

ان اقواما تعدّوا والبلا منهم اتى
حرّموا القهوة عمدا قد رووا افكا وبهتا
ان سالت النصّ قالوا ابن عبد الحقّ افتى
يا اولي الفضل اشربوها واتركوا ما قال بهتا

وادعوا

ودعوا العُذّال فيها يضربون المآء حتى

وفى عام خمس واربعين ببما جماعة فى بيوت القهوة يستعملونها فى شهر رمضان بعد العشآء اذ وافاهم صاحب العسس إمّا من تلقآء نفسه او لامر أُوحِىَ اليه واخرجهم منها على هَيْئَة شنيعة بعضُهم فى الحديد وبعضهم مربوط بالحبال فباتوا فى منزل السوباشاه ثم اطلقوا كلهم بعد ان ضُرب كل واحد منهم سبعة عشر ضربة ثم لم يلبثوا ان ظهر الحقّ وعاد الحال الى ما كان عليه اوّلا بعد يومين او نحوها، وورد فى عشر الخمسين وتسعمائه فى موسم الحاج صحبة الركب الشامى الى مكّة المشرّفه حكم سلطانى بمنع القهوة وابطالها والزام ناعيها بمنع التسبّب بها وابطال محالّها ذُكر ان سبب ذلك شكوى امراة رومية كانت مجاورة بمكّة فنزل ذلك وأُشهر النداء بابطالها والتحذير من السلوك فى هذه المسالك وامتُثل ذلك جمعه يوم المناداة ثم تعدّدت بيوتها وبعدها لذويها من غير مبالاة من الولاة وشربت فى موسم تلك السنة جهارا ودام استمرارها،

وكذلك

وكذلك منعت بالقاهرة مرارا فلم يبطل المدّة وعلا منارها ولم يزل امرها ظاهرا، وتعدادٌ بيوتها الى الكثرة وافيا وشاهرا، يشربها العلمآء والصلحآء، وطلبة العلم وامائل الفقهآء، ويقرّ عليها اهل الافتآء والتدريس، ويواظب على شربها من اتّصف بالفضل وكل نبيل ورئيس، بالجامع الازهر والبقاع المكرمة، وفي سائر الايّام والاوقات المعظمة، على الحالات الصالحة المشكورة، والاجتماعات للادّكار في الليالي التي هي بالخيرات موفورة، وبالثنآء على الله تعالى والصلاة على محمد اشرف المرسلين اوقاتها الصالحة معمورة، وبانتظام سلك القربات والبركات بكل فضل مغمورة، ولطالما شربتها مع اجلّآء اهل الحرمين في يوم عرفات المعظم، واجتماعات الموقف الجليل المكرم، التماسا لتواتر ادهاب الكسل وقوة النشاط، والاعانة على الدعا والوقوف والركوع وغير ذلك ممّا يرتبط بالعمل الصالح غاية الارتباط، والذي اقوله ان الحقّ الذي لا مرية فيه، والا شبهة تعارضه وتنافيه، انها في حدّ ذاتها حلال وبينها من بعيدا

نشاط على العبادة ما لا يشوبه نقص ولا اختلال ، واما الامور المستجدّة من هيئة بثوب باعثها ، واجتماع اهل المحظور فيها مع ذويها وجماعتها ، واضافة ما لا يباح الى ذاتها او فعلها بالاوصاف التى اشتهرت بين الفرقة ، فلا يبيحها من له ادنى المام بمعرفة الاحكام الشرعية ، والخمر انما حرّم بعد حلّ وطاقة ، لاشتماله بعد ذلك على فتح اوصافه ، التى يحدث منها ايقاع العداوة والبغضاء ، والصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة والتساهل فيهما والاغضاء ، فعمّ الاوصاف ، حرّم ما كان مباحا بلا خلاف ،

من الباب الثانى فى سياق المحضر الذى كتب فى شانها بمكّة المشرّفة وشرح المرسوم السلطانى الوارد جوابا عن ما بعث من الصفة وذكر فتاوى العلمآء بالحلّ والحرمة واقوال ذوى المعرفة الى غير ذلك ،

فنقول اما المحضر فنصّ المقصود منه   هذه صورة واقعة شرعية مضمونها ان مولانا المقام الشريف ابا النصر فانصوة الغورى لما اقامه الله تعالى خادما للحرمين الشريفين

الشريف جعل للجناب العالى خايربك المعمار ناظر للحسبة الشريفة بمكّة المشرّفة وباشا على المماليك السلطانية بها فكان ممّا اتفق له انه فى الليلة الّتى يسفر صباحها عن يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الاوّل سنة سبع عشرة وتسعمائة صلّى العشاء الآخرة بالمسجد الحرام مع الجماعة على عادته ثم طاف بالكعبة الشريفة ما بدا له وابتدأ بتقبيل الحجر الاسود وختم به والتزم بالملتزم ودعا بما بدا له ثم صلّى خلف المقام ركعات الطواف ودعا بما بدا له ثم شرب من مآء زمزم ودعا كذلك ثم توجّه من المطاف الى بيته فراى فى طريقه ناسا مجتمعين بالمسجد الحرام فى ناحية من نواحيها قد جمعهم الشيخ فرقاش الناصرى يزعم انه قد عمل مولدا للنبى صلعم فلما اشتمل عليهم قبل وصوله اليهم طفوا الفوانيس التى كانوا موقودة فاتّهمهم فى ذلك وارسل اليهم وكشف امرهم فوجد بينهم شيا يتعاطونه على هيئة الشربة الذى يتعاطون المسكر ومعهم كاس يديرونها ويتداولونه بينهم

وشرفاش

وفرقـاس المـدكـور هو السـاقى لهم بالقدح المذكـور فلمـا علم الامير دلـك انكره خاطره خصوصا ووظيفتُه الحسبةّ الّتى موضوعها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فسأل عن الشراب المدكـور فقيل له ان هدا شراب أُتّخد فى هدا الزمان وسمّى القـهوة يطبخ من قشر حبّ باى من بلاد اليمن فقال له البنّ وان هدا الشـراب المدكـور قد فشا امره بمكّة وكثر وصار يباع فى مكّة فى اماكن على هيئة الخمارات ويجتمع عليه بعض الناس من رجال ونسآء بدقّ ورباب وغير دلك من آلات الملاهى ويجتمع فى الاماكن التى تباع فيها من يلعب بالشطرنج والمنقلة وغير دلك بالرهن وغيره ممّا هو ممنوع فى الشريعة المطهّرة حماها الله من الفسّاق الى يوم التلاق، فلما سمع الامير دلك انكر هدا الامر وتدكّر قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلّكم تذكّرون وقوله صلعم من راى منكم منكرا فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع

يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفى روايه وليس
وراء ذلك مثقال حبّة خردل من الايمان فانكر على
الجماعة المجتمعين وفرّق جمعهم وشتّت شملهم فلما
اصبح جمع قضاة الاسلام وعلمآء الانام ممّن هو متصف
بمعرفه العلم والتصوّف والصلاح والزهد والورع والدين
ممّن يُقتدَى بقولهم وفعلهم من السادة الشافعية
والمالكية والحنفية بحضر مولانا قاضى القضاة الحنفى
المالكى وتعذّر حضور قاضى القضاة شمس الدين
المرشدى الحنفى لضعف اوجب انقطاعه وحضر
الشيخ شهاب الدين قاضى بيت الله الحرام والشيخ عفيف
الدين عبد الله اليمانى الحضرمى الشافعى المعروف بابى
كثير والشيخ الامام عبد الغنى المعروف المالكى وفلان
وفلان الى ان قال وتباحثوا كثيرا واحضر القهوة فى
مركن كبير والناس معه وفاوضهم الامير خايربك المعمار
الله فى امر القهوة المذكورة واجتمع الناس عليها
على هذه الهيئة المشروحة فاجابوا الجميع بان اجتماع
الناس عليها على هذه الصفة حرام ابعدوا عن ابدانه
على

على كل قادر عليه واما الحبّ المسمّى بالبنّ المذكور فحكمه حكم النباتات والاصل فيه الاباحة لقوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا فان كان يحصل من مطبوخ قشره ضرر فى البدن او فى العقل او يحصل به نشاة ولذّة وطرب فانه حرام ولو استعمله الانسان بمفرده فى داخل بيته والمرجع فى ذلك الى الاطبّاء، فلما سمع الامير خايربك بان المرجع الى الاطبّاء احضر الشيخين الامامين العلّامتين الشيخ نور الدين احمد العجمى الكازرونى واخاه علاى الدين على وهما اعيان السادة الاطبّاء بمكّة المعالجين للسيّد الشريف بركات بن محمد واخيه السيّد الشريف معزّ الدين فاينباى والسادة التجّار بمكّة وجدّة اعزّهما الله تعالى ونفعنا ببركاتهما وسالهما عن هذا البنّ الذى يُتّخذ من قشره هذا الشراب فذكروا انه بارد يابس مفسد للبدن المعتدل فاعترض عليهما شخص من الحاضرين ممّن ليس له المام بالطبّ وقال ان البنّ مذكور فى منهاج البيان وانه محرق للبلغم فقال الطبيبان ان البنّ المذكور فى

المنهاج ليس هو هذا فان هذا جزؤ معود بسبط
وذلك مركّب من امازير ولو كان مباحا فسعد جرّ الى
معصيه وكل طاعة جرّت الى معصيه سقطت فاذا دار
الامر بين المحرّم والمبيح قدم المحرّم واما شهادتهما
بصيغه اشهد المعتبرة لدى مولانا سيد الاسلام
الصلاحي الشافعي ومولانا شيخ الاسلام المحمي المالكي
ثم ذكر جماعه من الحاضرين بالمجلس ان القهوه
المذكورة ذكر لهم انها حلال فاستعملوها بناء على
الاباحة الاصلية فتغيّرت حواسهم وابدوا شيئهم
وتغيّر عقلهم فحصل بذلك الضرر في ابدانهم واقاموا
شهادتهم بذلك عند من اسمر اسما حضرة الجماعه
الحاضرين ثم رجع في ذلك في ... ... فاجمعى
الفقهاء بسبب الدين الحمي لمعدر ... ... اوله
افيم عنده البيّنة بمثل ذلك وحصل ... التحريم
بحرمتها ثم صرّح مولانا سيد الاسلام المحمي المالكى
والجماعه الحاضرون بحرمتها وحصل الاجماع على ذلك
ولما تمّ الامر على ذلك ... ... انفصل

اشهر السداء بمكّة المشرّفة بمسعاها ونواحيها وطرقها
بالمنع من تعاطى القهوة المذكورة ومنع من يتعاطاها
وانفصل الامر على ذلك وجعل ذلك فى الصحائف
الشريفة كل ذلك فى ضحوة يوم الجمعة المبارك الثالث
والعشرين من شهر ربيع الاوّل سنة سبعة عشر وتسعماية
وحسبنا الله ونعم الوكيل، الى هنا عبارة المحضر
بحروفه ما عدا ما حذف منه احتصارا من تراجم الامير
والقضاة وغيرهم ومن ذكر جماعة ممّن حضر المجلس، واما
نقل صورة كتابتهم فكتب قاضى القضاة صلاح الدين
ابن ظهيرة الشافعى الحمد لله وتوكّلت عليه الامر كما شرّح
وبيّن وبيّح، وكتب القاضى عبد الغنى بن ابى بكر
المرشدى الحنفى احمد الله وافوّض امرى الى الله الامر
كما شرِّح من مراجعتى فى دارى بسبب عذر شرعى وقد
وافقت البتّة عندى مما ثبت من حرمة القهوة
المشروحة فيه اللهمّ اهدِنا الصواب، وكتب القاضى
نجم الدين بن عبد الوهّاب بن يعقوب المالكى الحمد
لله العادل فى قضائه ربّنا اكشف عنّا العذاب انّا
مؤمنون

مؤمنون والطف بنا فى كل حركـه وسكون ونعوذ بالله
من قبول الزور والتعاطى بجرم الله اسباب الفجور وقد
شهد عندى جماعة من الاعيان ذوى المعرفة والايقان
لافسادها للابدان وبيّن ذلك غاية البيان والامر كما شرح
فيه من غير شئ ينافيه ، ولا حاجه الى نقل صوره لسانه
النافين لما فى ذلك من التطويل من غير فائده اذ ليس
فيها غيرُ المواقعـة على مقصوده بناء على الصفات
المشرّحه فيه التى لا حقيقه لها على ان معظمهم كانوا
عارفين لحقيقة الحال بل من شرّاب القهوه المواظبين
عليها ولم يكن لهم غرض فى المائده وانما تسموا ابقاء
لحسن الامر لانه كان متعصبا فى المسئله حذرا لاعراضه
له على ذلك وبغيرهم عندو ان له فى سعتنا خيرا عظيما
ونوابا جزيلا وكان مع ذلك سفيه اللسان جريئا على
القضاة وغيرهم من الاعيان وقويت بسبب ذلك شوكة
المتعصبين فى الباطل ولم يستطع احد ان يتمسك بالحق
منهم غير الشيخ نور الدين بن ناصر الشيخ مفتى مكه
اذذاك ومدرّسها وواعظها فانه تصدى لمعارضته وبينه

سمع ما لا يجب بل كفّره بعض اهل المجلس من اجل كلام صدر منه فى اثناء البحث فى غاية الصحّة لا يختص عنه اصلا فضلا عن ان يترتّب عليه ادنى محذور ثم لم يقنعوا بذلك حتى عرّضوا به فى السؤال الذى كتبوه الى مصر ووصفوه فيه ظلما بافتح الصفات ومرجعهم اجمعين الى الله سبحانه وتعالى ،

. اما السؤال المجهّز صحبة المحضر الى الديار المصريه فصورته ما قولكم رضى الله تعالى عنكم فى مشروب يقال له القهوه شاع شربه بمكّه المشرّفه وغيرها بحيث يتعاطونه فى المسجد الحرام وغيره يدار بينهم بكاس من اناء ، أخبر وقد اخبر جلوس ممّن يات عنه بان كثيره يؤدى الى السكر واخبر عدول من الاطبّاء بانه مضرّ بالابدان وقد منع من شربه من يعتدّ بقوله من العلماء بمكّه والرقاد بها وهناك شاهد جاهل جعل نفسه واعطا وافتى العشاق بحلّ شربه فقيل له ما تقول فى هذه الادارة على هذه الصفة فقال الشارع ادار اللبن فقيل له اخطأت لم يكن إدارةُ اللبن على

على هذه الصفة فهل يحلّ شربه على الوجه المذكور ام يحرّم مطلقا لكونه مسكرا ومضرّا بالابدان وما ذا على الجاهل المبيح لشربه وهل يجب على ولىّ الامر ايّده الله تعالى ازالةُ هذا المنكر والمنع منه وردع هذا الجاهل ومن يقول بقوله ام لا وما الحكم فى ذلك افتونا ماجورين وابسطوا الجواب ايّدكم الله امين.

فبرز امر السلطان المرحوم فانصوه الغورى من نوردى بكتابة مرسوم وتجهيزه الى مكّه المعظمه فجهّز ونصّ المقصود منه واما القهوة فقد بلغنا ان اناسا يشربونها على هيئة شرب الخمر ويخلطون فيها المسكر ويغنّون عليها بآلة ويرقصون ويسكرون ومعلوم ان ماء زمزم اذا شُرب على هذه الهيئة كان حراما فليُمنع شرّابُها من التظاهر بشربها والدوران بها فى الاسواق. انتهى.

وهذه عبارة صريحة ايضا فى النهى انما هو على حسب الانتهاء ومع ذلك فليس فيها ما يدلّ على المنع من شربها بوجه بل من التظاهر به ومن فعله على الهيئة المخصوصة التى بلغتهم فقط وذلك لا يدلّ على حرمة

ذاتها

دابها الى ى مرادهم بل نشبهُها بمآء رمزم والاقتصارُ على منع شربها بما ذكر نصّ او كالنصّ على حلّها والاذنِ فى شربها على غير تلك الهيئه ولذلك لم يمنعها السلطان من مصر الى ى محلّ الكرسىّ والولايه ولعلّه انما منع شرّابها من التظاهر بها سدّا للذريعة مخافة ان تشرب على تلك الهيئه الممنوعه والاقتصارُ فى المرسوم على هذا القدر المختصر دليل على عدم اعتبار الاسكار والضرر والله اعلم،

من الباب السابع فى بعض ما روى من النظم لبعض اعيان العلمآء والصلحآء الاماجد من القول البليغ المشتمل على حلّها وجليل الفوائد

لبعض الاوليآء

يا قهوة تذهب همّ الفتى
انت لحاوى العلم نعم المراد
شراب اهل الله فيها الشفا
لطالب الحكمة بين العباد

نطبخها قشرا فتاتى لنا
فى نكهة المسك ولون المداد
ما عرف الحق سوى عاقل
يشرب من وسط الزبادى زباد
حرّمها الله على جاهل
يقول فى حرمتها بالعناد
فيها لنا نبرٌ وفى حانها
صحبةُ ابناء الكرام الجياد
كاللبن الخالص فى حلّه
ما خرجت عنه سوى بالسواد

وقال آخر شعر

عرّج على القهوة فى حانها
فاللطف قد حقّ بندمانها
حانٌ حكى الجنّه فى بسطها
ورقّة العيش واخوانها
وقهوةٌ لا عتّم سقى ادا
فابلك الساقى بفنجانها

قريبة العهد بعدن فان
شككت فانظر حسن وِلْدانها
لا يوجد العمّ بحانانها
قد خضع الغمّ لسلطانها
شرابُ اهل الله فيها الشفا
جوابُ من يسأل عن شانها
فمآئها تغسل اكدارنا
وتحرق الهمّ بنيرانها
يقول من ابصر كاسونها
اقّ على الخمر وادنانها
فَهْيَ رحيقٌ لونها ختمها
قد شهد العقل ببرهانها
فآشرب ولا تسمع كلام الذى
بجهله يعنى ببطلانها

انتهى المنقول من كتاب عمدة الصفوة فى حلّ القهوه

من

من كتاب

السلوك لمعرفة دول الملوك

لتقىّ الدين المقريزى

من حوادث سنة ستّ وتسعين وستمائة

قال فى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر قدم كتاب تمورلنك يتضمّن الارعاد والابراق وتنكّر قتل رسله ونصّه قل اللهمّ فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اعلموا انّا جند الله مخلوقون من سخطه، مسلّطون على من حلّ عليه غضبه، لا نرقّ لشاك، ولا نرحم لباك، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل ثمّ الويل لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا، قد خربنا البلاد، وايتمنا الاولاد، واظهرنا فى الارض الفساد، وذلّت لنا اعزّتها، وملكنا بالشوكة ازمّتها، فان خيّل ذلك على السامع واشكل،

وقال

وقال أنّ فيه عليه مُشكل، فقيل له ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزّة اهلها اذلّه، وذلك لكثرة عَددنا، وشدّة باسنا، فخيولنا سوابق، ورماحنا خوارق، واسنّتنا بوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وجيوشنا كعدد الرمال، ونحن ابطال واقيال، ومُلْكنا لا يرام، وجارنا لا يضام، وعزّنا ابدًا بالسؤدد مقام، فمن سالَمَنا سلم، ومن رام حربنا ندم، ومن تكلّم فينا بما لا يعلم جهل، وانتم وان اطعتم امرنا، وقبلتم شرطنا، فلكم ما لنا، وعليكم ما علينا، وان انتم خالفتم، وعلى بغيكم تماديتم، فلا تلوموا الّا انفسكم، فالحصون منّا مع تشديدها لا تمنع، والمدائن بشدّتها لقتالنا لا تردّ ولا تنفع، ودعآؤكم علينا لا يستجاب فينا ولا يُسمع، وكيف يسمع الله دعآءكم وقد اكلتم الحرام، وضيّعتم جميع الانام، واخذتم اموال الايتام، وقبلتم الرشوة من الحكّام، واعددتم لكم النار وبئس المصير، ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انّما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا، فلما

فلما فعلتم ذلك ، اوردتم انفسكم موارد المهالك ، وقد فنلتم العلمآء ، وعصيتم ربّ الارض والسمآء ، وارقتم دم الاشراف ، وهذا والله هو البغى والاسراف ، فانتم بذلك فى النار خالدون وفى غد ينادَى عليكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحقّ وبما كنتم تفسقون ، فابشروا بالمذلّة والهوان ، يا اهل البغى والعُدوان ، وقد غلب عندكم انا كفرة ، ونحن عندنا انكم والله الكفرة الفجرة ، وقد سلّطنا عليكم الله له امور مقدَّرة ، واحكام مدبَّرة ، فعزيزكم عندنا ذليل ، وكثيركم لدينا قليل ، لانا ملكنا الارض شرقا وغربا ، واخذنا منها كل سفينة غصبا ، وقد اوضحنا لكم الخطاب ، فاسرعوا بردّ الجواب ، قبل ان ينكشف الغطآء وتضرم الحربُ نارَها ، وتضع اوزارها ، وتصير كل عين عليكم باكية ، وينادى منادى الفراق هل ترى لهم من باقية ، ونُسمِعكم صارخ الفنآء بعد ان نهزّكم هزّا ، هل تحسّ منهم من احد او تسمع لهم ركزا ، وقد انصفناكم اذ راسلناكم ، فلا تقتلوا المرسلين ، كما فعلتم

فعلتم بالاوّلين، فخالفوا كعادتكم سنن الماضين، وتعصوا ربّ العالمين، فما على الرسول الّا البلاغ المبين، وقد اوضحنا لكم الكلام، فاسرعوا بردّ جوابنا والسلام،

فكتب جوابه بعد البسملة قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء، وتعزّ من تشاء، وتذلّ من تشاء، حصل الوقوف على الفاظكم الفرية، وترهاتكم الشيطانية، وكتابكم تخبرنا عن الحضرة الخمايسة، وسيرة الفرقة الملاكية، وانكم مخلوقون من سخط الله، ومسلطون على من حلّ عليه غضب الله، وانكم لا ترقّون لشاك، ولا ترحمون عبرة باك، وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم، فذلك اكبر عيوبكم، وهذه من صفات الشياطين، لا من صفات السلاطين، ويجمعكم هذه السعادة الدائمة، وبما وصفتموه به انفسكم نقيصة، قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي

دينى ، ففى كل كتاب لعنتم ، وعلى لسان كل مرسل نُعتّم ، وبكل قبيح وُصفتم ، وعندما خبركم من حين خرجتم انكم كفرة الا لعنة الله على الكافرين ، من ممسّك بالاصول فلا نبالى بالفروع ، نحن المومنون حقّا لا يدخل علينا عيب ، ولا يضرّنا ريب ، القرآن علينا نزل ، وهو سبحانه بنا رحيم لم يزل ، فتحقّقنا نزوله ، وعلمنا ببركته تأويله ، فالنار لكم خلقت ، ولجلودكم اضرمت ، اذا السمآء انفطرت ، ومن العجب العجب تهديدُ الرتوت بالتوت ، والسباع بالضباع ، والكماة بالكراع ، نحن خيولنا برقية ، وسهامنا عربية ، وسيوفنا يمانية ، وليوثنا مضرية ، واكفنا شديدة المضارب ، وصفتنا مذكورة فى المشارق والمغارب . ان قتلناكم فنعم البضاعة ، وان قُتل منّا احد فبيند وبين الجنّة ساعة ، ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احيآء عند ربهم يُرزَقون ، فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الّا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

يستبشرون

يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع
اجر المؤمنين، واما قولكم قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال،
فالقصّاب لا يبالي بكثرة الغنم، وكثير الحطب يفنيه
القليل من الضرم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله والله مع الصابرين، الفرار من الرزايا، وحلول
البلايا واعلموا ان هجوم المنيّة، عندنا غاية الامنيّة،
ان عشنا سعداء، وان قتلنا شهداء، الا ان حزب
الله هم الغالبون، ابعد امير المؤمنين، وخليفة ربّ
العالمين، تطلبون منّا طاعة، لا سمع لكم ولا طاعة،
وطلبتم ان نوضح لكم امرنا قبل ان نكشف الغطاء، ففي
نظمه تركيك، وفي سلكه تبنيك، لو كشف الغطاء
لبان، القصد بعد بيان، اكفر بعد ايمان، ام
اتخذتم الها ثان، وطلبتم من معلومكم رأيكم، ان نتّبع
ربكم، لقد جئتم شيئا ادّا، تكاد السموات ينفطرن منه
وتنشقّ الارض وتخرّ الجبال هدّا، قل لكاتبك الذي
رصّع رسالته، ورصّف مقالته، وصل كتابك كضرب
رباب، او طنين ذباب، كلّا سنكتب ما يقول ونمدّ له

من العذاب مدّا، ونرثه ما يقول ان شآء الله وسيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون والسلام

انتهى ما نقل من كتاب السلوك
لمعرفة دول الملوك

تم الجزء الاوّل
من كتاب الانس المفيد للطالب المستفيد
ويتلوه الجزء الثانى